روايات غادة

باربرا يونغ

ليتك تشتاق بي

www.elromancia.com

رومانسية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

غـــادة

ليتك تثق بي!

عندما ذهبت لينا الى الريف لم تكن تتوقع ان تقع بالحب، ولكن هل يسبب الحب كل هذا الألم الذي يعتصر قلبها، لقد وجدت أخيراً الرجل الذي كانت تحلم به وتمتعت بقبلاته، اذاً لماذا هذه المرارة والخيبة؟.

طومي لا يثق بها، ولا يزال يعتقد بأنها جاءت وهي تخطط لخطف الصبي فيليب.

- ١ -

«كم ستمكثين في الريف، لينا؟» سألتها رونزا.

«طيلة فصل الربيع» أجابتها لينا بحماس: «لقد وعدت صاحب الدار ان أسلمه مع بداية فصل الصيف مجموعة من القصص التي تدور بين الأطفال والحيوانات».

«ولماذا تقصدين الريف؟ هل يزعجك أولاد شقيقتك؟».

«انت تعلمين كم أحبهم ولا يزعجونني أبداً، لكنني سأذهب الى الريف لأنني بحاجة لمراقبة تحركات الحيوانات في الطبيعة، هذا سيساعدني في استلهام الأفكار».

«الى أية منطقة ستذهبين؟».

«الى قريتنا. ألم تشتاقي اليها؟» سألتها لينا بدون تفكير وسرعان ما ندمت على تسرعها. فهي تعلم ان رونزا تتعذب

بعيداً عن طفلها.

ظلت رونزا صامتة للحظات ثم وقفت أمام النافذة تمسح دمعة سالت على خدها.

نهضت لينا ووقفت بجانبها.

«أنا آسفة، رونزا... ولكن لماذا لا ترافقيني؟ انها فرصة لرؤية فيليب».

فيليب هو ابن رونزا الذي تركته منذ ستة أشهر اثر طلاقها مع والده وبعد ان حكمت المحكمة لوالده بحضانته.

«ترى، هل نسيني؟ أينادي؟...» قالت رونزا كأنها تحدث نفسها ثم أجهشت بالبكاء.

ضمتها لينا الى صدرها بحنان وكانت تحب رونزا كثيراً.

«كم أتمنى ان أراه وأضمه الى صدري! اوه، فيليب، يا ولدي...».

«لماذا لا تذهبين لزيارته؟ لا أعتقد بأن ماك سيمنعك».

«عندما اتصلت به هاتفياً بعد أسبوع على رحيلي، قال ماك بأن فيليب عانى كثيراً في الأيام الأولى وهو لا يريد ان يتكرر عذابه كلما رآني، وأعتقد انه مصيب من هذه الناحية...».

وانهمرت دموعها بغزارة أكبر.

«اهدائي، رونزا، ابنك بخير، ووالده يحبه ويعتني به...».

«لينا...» قاطعتها فجأة: «أيمكنك ان تسديني خدمة وتطمئنيني عنه؟».

«بالتأكيد».

«أنا أحسدك لأنك سترينه... أرجوك اكتبي الي كل أسبوع ولو رسالة واحدة تطمئنني عنه. ولكن... لا تكلميه عني، اذا كان قد نسيني لا تذكريه بي...».

«أعدك أنني سأفعل، ولكن ماذا لو سألني ماك عنك؟».

«لن يفعل، فهو عنيد متكبر...».

«على كل حال، سأرى فيليب وأكتب لك كيف يعيش وكيف يتصرف. ولكني بالتالي أطلب منك خدمة أخرى، أرجوك، ان تزوري شقيقتي أثناء غيابي وتسألي عنها...».

«ألن تعود هي أيضاً لزوجها؟».

«لا، على الأقل حالياً، مع انه يتصل بها يومياً ويسأل عن أولاده».

«هي على الأقل تعيش مع أولادها بعد انفصالهما».

«زوجها رفض الطلاق، وهذا يعني انهما سيتصالحان قريباً... لا يزال يرسل لها المال ويطلب منها العودة ويلومني لأنني استقبلتها وسمحت لها بالبقاء في شقتي».

«أيعتقد انك تشجعينها على الانفصال؟».

«لا، فهو يعرف أنني لا أفعل ذلك، وللحقيقة أنا أضع اللوم على شقيقتي لأنها دائماً عصبية ومتوترة، صحيح ان مسؤولية ثلاثة أولاد ليست سهلة، لكن هذا لا يبرر تصرفاتها مع زوجها الذي يصبر ويسامحها كل مرة. لقد سمحت لها بالبقاء كي تدرك أهمية زوجها وأهمية مشاركته الفعالة في تربية الأولاد...».

بعد أيام، وفور وصولها الى الريف، اتجهت لينا نحو منزل ماك وتوقفت قليلاً تتأمل السهول الشاسعة الممتدة أمام ناظرها. كم تحب هذه البلدة وأهلها وكم تبدو لها طفولتها بعيدة. لقد عاشت في هذه البلدة حتى بلغت الثالثة عشرة من عمرها واضطروا للإنتقال الى المدينة عندما تلقى والدها عرض عمل هناك.

وقفت لينا تتأمل قصر آل ماروش الشامخ وسط بساتين الفاكهة. انه ملك لقريب ماك زوج رونزا، لكن كل ما

www.elromancia.com

نعلمه عن صاحب القصر انه رحل ليتابع دروسه في أميركا ولقد جذبته تلك البلاد ولا يزال هناك، لكنها لا تذكر ملامحه وقد مضى وقت طويل لم تزر فيه بلدتها ومسقط رأسها.

صوت الحوافر التي تدوس الحشائش بخفة وصل الى مسامعها فالتفتت لترى فارساً يمتطي حصاناً بنياً يدنو منها.

«هل تبحثين عن أحد ما؟» سألها الرجل بكل أدب وهو ينزل عن حصانه.

«كنت ذاهبة الى منزل مالك ماروش» أجابت مبررة وجودها هنا وتساءلت اذا كان هذا الرجل هو نفسه مالك القصر.

«هل انت معتادة على زيارته في منزله؟» ونظر اليها شزراً.

«لا، لكنني أريد ان أكلمه بأمر هام» ردت متجاهلة تلميحاته.

«حسناً، لن تتمكني من رؤيته لأنه في رحلة خارج البلاد».

ثم تأملها قليلاً وسألها: «هل سبق ان التقينا من قبل؟».

«منذ سنوات بعيدة، فأنا ابنة توم كورت. أعتقد انك طومي ابن السيد ماروش، أليس كذلك؟» قالت له بكل ثقة.

«لهذا يبدو شكلك مألوفاً» قال ورفع خصلة شعر تدلت على جبينها فأحست بدفء لمسته ولم تستطع رفع نظرها عن وجهه الفاتن وفمه الساحر. كانت ملامحه كاملة والخطوط الصغيرة على زوايا عينيه تزيد من وسامته.

«أين كنت تقيمين؟».

«في ويلنغتون».

«اذن انت فتاة مدينة» قال وكأنه يهينها.

«أتكره فتيات المدن؟».

«أنا أتحاشاهم قدر المستطاع» ونظر اليها من رأسها حتى أخمص قدميها وأضاف: «كونك فتاة مدينة يجعلك تتخيلين ان بإمكانك تسلق الحواجز والسياج وأن تتجولي أينما تشائين في المساحات الخضراء الواسعة؟».

«تقصد انني أتعدى على أملاك خاصة؟».

«نعم».

«كنت أعتقد ان للجار حق التمتع باللوحات الطبيعية المجاورة لأرضه ومنزله دون ان يتهم بالتعدي على ممتلكات الغير».

«هل تقيمين مع جدك؟».

«نعم، ولفترة مؤقتة».

«كيف حاله؟ سمعت انه مريض».

«انه مصاب بإلتهاب رئوي ولقد تحسنت صحته قليلاً».

«يسعدني سماع ذلك. سأزوره قريباً».

«لماذا؟».

«لأطمئن عليه ولأكرر عرضي عليه مرة ثانية، لقد رفض التخلي عن قطعة أرض له مجاورة لأرضنا مع انه لا يستغلها».

«هذا يعني انك تريده ان يرحل».

«افهمي هذا جيداً، أنا لا أريده ان يرحل، فهو يملك أراض أخرى وليس بحاجة لهذه الأرض التي كانت من قبل ملكاً لعائلة ماروش».

«أنا أفهم جدي، لا يستطيع ان يتخلى عن أرض ولا حتى مقابل سعرٍ مغرٍ».

«الا يمكنك مساعدتي بهذا الموضوع؟ حاولي اقناعه بالبيع».

«لا، أنا متأكدة ان جدي لن يوافق، كما أنني متأكدة

www.elromancia.com

انك رجل يعرف ما يريد ويبذل قصاري جهده من أجل ذلك».

«كيف تعرفين ذلك أيتها الفتاة التي عاشت في المدينة؟».

«يمكن فهمك بسهولة» قالت بسخرية.

«وكذلك الأمر بالنسبة لك انت» قال ضاحكاً وأضاف: «انت عنيدة في الظاهر لكنك رقيقة، حنونة ومحبة».

احمر خداها لكنها أجابته بحزم.

«هذا شيء لن تعرفه، سيد ماروش».

«هذا ما سوف نراه لاحقاً» قال مبتسماً واقترب منها أكثر وعيناه تلمعان بشكل غريب ولامست أصابعه حنجرتها بنعومة.

ابتعدت عنه بسرعة وقالت متلعثمة:

«يجب ان أعود فجدي ينتظرني».

لاحظ طومي ارتباكها ويبدو ان هذا أسعده فهز رأسه.

«آه، حسناً، الى اللقاء».

ابتعدت عنه وكانت واثقة ان عينيه كانتا تخترقان ظهرها وهو يراقب كل حركة في مشيتها لكنها لم تدر رأسها.

«سأراك لاحقاً» قال بصوت مرتفع عندما انعطفت باتجاه الطريق.

توقفت والتفتت نحوه:

«أشك بذلك، فأنا مشغولة».

«مشغولة بماذا؟» صرخ حين تابعت سيرها.

«بكثير من الأمور» وتابعت سيرها.

ظلت تفكر بطومي ماروش الى ان وصلت الى المنزل، يا له من رجل جريء! لكن شيئاً غريب في هذا الرجل، لقد جعلها ترتبك وتشعر بتلاحق أنفاسها.

لا، الأمر ليس مهماً، كل ذلك الارتباك لأنها لم تلتق

من قبل برجل مثله أبداً.

عندما وصلت الى المنزل، أدركت ان الطعام قد أصبح جاهزاً وأن جدها يعد طبقه المفضل.

كان جدها يقف قرب الفرن ويحرك بلطف وعاء الشوربة انه رجل حسن لكنه لا يزال يحتفظ بابتسامته الرائعة.

«كنت تبحثي عن ذكريات الطفولة؟».

«نعم، ولم أستطع مقاومة صعود الطريق المتعرج».

«لكنك وحيدة الآن بدون رونزا» قال وهو ينظر اليها بطرف عينيه.

«نعم، مع الأسف».

«هل التقيت بأحد الأشخاص» ونظر مباشرة الى عينيها.

كانت لينا تعرف انه من غير المجدي تجاهل سؤال الجد.

«حسناً، في الواقع... التقيت برجل...».

«هو نفسه، لا؟».

«هو نفسه؟ ماذا تعني؟ حسناً، قال بأن اسمه طومي ماروش».

«آه، نعم، سيد الماروش» ورفع حاجبيه.

«تتكلم عنه وكأنه طاغية مستبد».

«له طرقه الخاصة في التعامل مع كل شيء».

«وكيف عرفت أنني قابلت شخصاً ما؟» سألته باستخفاف.

«من البريق الذي لمع في عينيك» أجابها مبتسماً.

«ذلك فقط لأن أمامي الكثير لأقوم به».

«بشأن الصبي؟ الاستفسار حول حياته سيتطلب الصبر منك».

«الا تعلم بأنني صبورة بما فيه الكفاية؟».

«ستجدين بعض الصعوبة في ملاقاته، أراه أحياناً كثيرة

www.elromancia.com

يتوجه الى البحيرة ليلتقط الضفادع».

«كم تتمنى رونزا رؤيته بمرح».

بدا الاستياء على وجه الجد فتأملته قليلاً ثم قالت:

«جدي، أعلم انك لا تحب رونزا، ليتك تحاول ان تتفهم موقفها».

«آه، أنا أفهم» علق بحدة: «أفهم ان عليها ان تكون هنا، بجانب زوجها وطفلها».

«أعتقد ان فيليب يفتقدها» قالت بحزن.

«بالتأكيد، يمكنك ان تكتبي لها وتخبريها بذلك».

«لن أراسلها قبل ان أرى الصبي بنفسي... ساحاول ان أقابله قرب البحيرة» أضافت متجاهلة تلميحات جدها.

«حسناً، لقد منع من الاقتراب من البحيرة، لكنه لا يطيع الأوامر، انه عنيد، تماماً مثل والدته».

«كن عادلاً، جدي» قالت مدافعة عن صديقتها.

«أعترف بأنه كوالده».

«يشبه والده في ملامحه فقط».

لم تلح لينا على هذا الموضوع فسألت جدها عما سيفعله هذا المساء.

«سأذهب في المساء الى النادي».

«الا تشعر بالملل هناك؟» سألته مبتسمة، «كنت أفضل ان تبقى معي».

ترددت ثم سألته:

«ما هو شعورك نحو التقدم في السن، جدي؟».

«انه أمر واقع، يا عزيزتي، انه القدر الذي لا يمكننا الهرب منه».

بعد الظهر خرج بول كورت متجهاً نحو النادي بينما وقفت لينا تراقبه من الشرفة حتى اختفت سيارته خلف التلال فعادت الى المطبخ تنظف وترتب الأطباق ثم انتقلت

الى غرفتها وتمددت على السرير تراجع ملخصاً عن احدى القصص التي كانت قد بدأت بكتابتها.

كانت لينا تحب عملها كثيراً وقد أصبحت ملمة بذوق الأطفال وما يختارونه من قصص. وقد أبدى الناشر اعجابه بقصصها وينتظر منها ان تقدم له مجموعة جديدة في نهاية هذا الفصل.

وكانت متأكدة ان الأفكار ستأتيها من كل ما تراه حول البحيرة ومن الحقول الشاسعة خاصة في هذه الأيام من السنة حيث تتكاثر قطعان الغنم، وقد قررت ان تكون المجموعة عن الحملان الصغيرة وارتباطها بالقطيع.

وبينما هي تقلب صفحات مخطوطاتها تراءى لها وجه طومي ماروش الساخر فنهضت بدون وعي منها واقتربت من النافذة.

تذكرت كلمات: سأراك لاحقاً.

ذكرى وجهه الوسيم وجسده الرياضي جعل الأسئلة تتراكض في ذهنها. هل هناك أمراً؟ في حياته؟ زوجة تغفو بين ذراعيه كل ليلة؟ هذا ممكن جداً، ولكن لماذا تتجه أفكارها بهذا الاتجاه؟ تساءلت بانزعاج وأرغمت نفسها بجهد على التركيز على قصص الأطفال. لكن أفكارها رفضت البقاء تحت سيطرتها فتنهدت وهي تتذكر مجدداً لمسة أصابعه على حنجرتها واعترفت لنفسها ان للرجل جرأة كبيرة. ورغم محاولاتها لم تستطع ان تكرهه، لكنها وعدت نفسها ان تتحاش الاقتراب منه مجدداً وخرجت لتقوم بجولة خلف المنزل.

حالما اتخذت هذا القرار سمعت نباح كلب جدها في الخارج فالتفتت نحو مصدر النباح واستطاعت ان ترى رجلاً يشق طريقه وسط الأرض المتعرجة ولم يكن من الصعب عليها معرفة هويته. انه طومي ماروش يبدو وأنها ستقابله

www.elromancia.com

مجدداً وبأسرع مما كانت تتوقع.

قطعت لينا أنفاسها فيما كان طومي ماروش يتسلق السور ويقترب من المنزل. للحظه شعرت برغبة عارمة داخلها تدفعها للركض نحوه والترحيب به، لكنها عادت وقالت لنفسها انه قد يكون آتياً لرؤية جدها وستكون غبية تماماً بإظهارها الفرحة برؤيته وسيتساءل عن سبب لهفتها هذه والتي كانت هي نفسها لا تستطيع تفسيرها.

«بول ليس هنا» قال على الفور وكأنه يعرف مسبقاً ان جدها ليس هنا.

«نعم، لقد ذهب الى النادي، هل ترغب برؤيته؟».

«لا، لقد عرفت انه ليس هنا، رأيت سيارته في طريقها نحو البلدة».

«آه» وتساءلت لماذا مجرد رؤيته تجعل أنفاسها تتلاحق بسرعة: «لماذا أتيت اذاً؟».

«شعرت برغبة قوية للتحدث اليك».

«حول ماذا؟» سألته باستغراب وعيناها تلمعان.

«أيمكنك اخباري بالحقيقة حول ماك ماروش؟» اعترف بصراحة.

«أتشير الى أنني كاذبة؟» سألته بحدة.

«الأمر يعتمد على ما تقرري ان تخبريني به».

«بل يعتمد على ما ترغب انت بمعرفته».

«حسناً، لأنك ستخبرينني لماذا أشعر ان معرفتك بماك ليست عرضية» قال وعيناه الثاقبتان تتحديانها لتنكر اتهامه.

«ليس لدي أية فكرة، لربما بإمكانك انت ان تخبرني عندئذ فقط نعرف كلانا السبب».

«كنت تبحثين عنه، وأرغب بمعرفة حقيقة علاقتكما».

«علاقتنا؟» رددت بحذر: «لم لا تتكلم بصراحة وتخبرني عما يدور في خلدك؟».

«حسن جداً، سأتحدث بصراحة تامة، مجيئك للبحث عن ماك هذا الصباح يجعلني أتساءل اذا كنت معتادة دائماً على المجيء الى ذلك المكان لمقابلته».

غضبها بدأ يشتعل وشعرت برغبة قوية تدفعها لضربه على وجهه لكنها أبعدت الفكرة من رأسها.

ظل يراقبها بصمت ثم قال:

«أتساءل اذا كنت على علاقة بماك، هل فهمت قصدي؟».

«لا، لم أفهم سيد ماروش» صرخت بوجهه:

«وسأكون ممتنة لو انك تتكلم بوضوح لأنني بدأت أفقد صبري من هذه المناقشة».

«هل انت السبب في فشل زواج ماك؟» سألها بصراحة.

حدقت به مذهولة ثم انفجرت بحنق:

«اذن هذا ما تعتقده! كيف تجرؤ؟».

«حسناً... هل انت السبب؟» سألها مجدداً وهو يخطو نحوها وأمسك ذراعها وأخذ يحدق في أعماق عينيها.

اشتعلت عيناها بالغضب وهي تحاول الافلات من قبضته.

«باعتبار أنني أنا من عرفت رونزا على ماك فلا أستطيع ان أقول الا ان اقتراحك تافه وسخيف جداً».

قست ملامح وجهه فجأة:

«اذن، انت تعرفينها».

«بالتأكيد أعرفها. كانت ولا تزال صديقة لي، أرجو ان تصدق انه لا وجود لأية علاقة بيني وبين ماك».

«حسناً، أصدقك» قال بنبرة تحمل معنى الارتياح.

لكن لينا لم تكن راضية فسألته بعد ان أخذت نفساً عميقاً:

«هل نسيت أنني أسكن في المدينة ويستحيل علي اقامة

www.elromancia.com

علاقة على مسافة طويلة بهذا الشكل؟».

«قلت انني أصدقك» قال بحدة:

«للحقيقة كرهت ان تكوني انت السبب بتحطيم زواجهما».

«ولماذا، سيد ماروش؟» سألته بدهشة.

لكنه بدلاً من ان يجيب على سؤالها، وجه اليها سؤالاً آخر:

«أتتصلين برونزا؟».

«أحياناً».

«اذاً أين هي؟».

«في لندن، الا يعرف ماك كيف يتصل بها».

«لا أظن ذلك، فهو بالكاد يتحدث اليها. في الواقع، لم يعترف مطلقاً بسبب فشل زواجهما لهذا السبب شعرت بالشك حين رأيت فتاة بمثل جمالك تسأل عنه».

تجاهلت مديحه هذا وسألته:

«أتقفز دائماً الى الاستنتاجات بمثل هذه الطريقة السريعة؟ انت بالتأكيد تعرف اذا ما كان ماك على علاقة عاطفية مع احداهن، فهو ابن عمك».

«انت لا تفهمين الوضع، للحقيقة كنت بعيداً عن البلدة ولم أعد الا منذ مدة، ولم أعرف ما الذي تغير في طبيعة ماك خلال هذه الفترة رغم انه ابن عمي».

«اذاً انت لا تعرف رونزا».

«عندما عدت، كانت قد رحلت وتحول ماك الى رجل بائس. لا أستطيع ان أفهم سبب تخليها عنه وعن ابنه».

«أفهم جيداً عدم اتفاقهما واستياء رونزا، لكنني لا أستطيع أيضاً ان أفهم تخليها عن ابنها الصغير».

«الا تعرفين انها قد حاولت أخذه معها؟».

«لا».

«لكنها لم تتمكن من ذلك لأن المحكمة حكمت لماك بحضانة ولده».

«كنت أعتقد ان حضانة الأطفال تعود دوماً للأم».

«ليس عندما يكون هناك حرمان للطفل، أدركت المحكمة ان بقاء الطفل في الريف يقدم له أكثر مما ستقدمه له أم منفصلة تعيش في المدينة. كما وأن ماك لم يكن محظوظاً لولا وجود مايزي وساندرا لتقوما بواجبات الأم».

«ومن هما؟» سألته.

«مايزي بيتس هي مدبرة منزلي. بيرت، زوجها، يعتني بالحديقة ويقوم ببعض الأعمال المساعدة الأخرى في المزرعة».

«وساندرا ـ من هي؟».

«ساندرا والش. والداها يعيشان في وايباوا. وهي تساعد مايزي وتقوم بدور المربية لفيليب، لكني أخشى انها تجده مشاكساً ويصعب السيطرة عليه».

قطبت لينا:

«ولماذا عليها السيطرة عليه؟».

«لسبب بسيط انه طفل غير مطيع ويحتاج الى تربية صارمة. فبالرغم من كل شيء تقول ساندرا، انه لا يزال يقوم بما يريد. انها حقاً مغتاظة منه».

«يا لفيليب الصغير المسكين» قالت لينا برقة.

تجاهل ملاحظتها الأخيرة وقال:

«اذا حدث ورأيته في الجوار هنا فعليك ارساله الى المنزل فوراً».

«هل هو معتاد على المجيء الى هنا؟» سألته متذكرة ما قاله لها جدها حول هذا.

«أغلب الأحيان. انه مغروم بمرحلة تحول الضفدوع الى

www.elromancia.com

ضفدع كامل. اذا حدث وسقط في المياه فلن يتمكن من الخروج. سيغرق في الوحل ويحتجز بين النباتات».

ارتعشت لينا للفكرة وقالت:

«أدرك مدى خطورة التجول على ضفاف البحيرة بالنسبة للأطفال، وخاصة أولئك الذين يحاولون التقاط الضفادع الصغيرة».

«جيد. على الأقل نحن متفقان حول هذه النقطة» توقف فيما عيناه تتفحصان كل تفصيل في وجهها وتتركزان على الخصلات التي تستريح على كتفها.

«أنا حقاً سعيد لأنك لست السبب في فشل زواجهما» قال بنعومة وعيناه تشرقان ببريق غريب.

«لكن لماذا تكترث لأي دور قد أكون قمت به في هذه العلاقة؟».

«لأنني...» صمت، محدقاً بها بحذر كأنه هو نفسه محتار من هذه الحقيقة.

«نعم، تابع» أصرت: «أنا بالانتظار».

«اذا أردت ان تعرفي، أكره ان أفكر ان لك أية يد في ذلك، لكني لا أزال راغباً بمعرفة السبب الذي دعاك للبحث عن ماك هذا الصباح».

نظر اليها عبر رموشه الطويلة:

«أترغبين بإعطائي السبب؟».

التمعت عيناها بنفاذ صبر:

«بحق السماء، أنا أردت فقط ان أسأله عن فيليب. في المرة القادمة التي أراسل بها رونزا سأرغب بإخبارها أنني قد رأيت الصبي... ولربما اخبارها بشيء ما عنه».

التوى فمه بحركة هازئة:

«وما الذي يجعلك تعتقدين انها ستهتم لهذا؟».

زادت عصبية لينا:

«بالطبع هي ستهتم. كيف بإمكانك الشك بهذا؟».

«لأنها قد رحلت بعيداً وتركت الصبي» أشار بوضوح: «لقد أعطيت الإذن لشراء، لكنها حملت نفسها وطارت الى لندن. أي نوع من الأمهات هي؟».

وجدت لينا سؤاله صعباً. كانا يسيران نحو مقعد خشبي مصنوع من جذع شجرة ضخمة وفيما جلسا قالت لينا:

«أنا أشعر بثقة انها تتوقع حصولها على فيليب... عاجلاً أم آجلاً».

«مجرد تفكير عديم الجدوى» قال: «بوجود قرار الحضانة هذا، ليس أمامها أية فرصة» ثم سألها بسرعة:

«هل من الممكن ان تخبريني عن سبب انفصالهما؟».

«في الواقع كان هناك سببان. الملل كان أحدهما».

«الملل؟» بدا مصدوماً وهو يضيف:

«الملل في مكان قريب جداً من البلدة حيث هناك نشاطات متنوعة لتسلية نساء الريف؟ هناك جمعية النساء الريفيات ومراكز فنية وبدوية حيث يتعلمن الحياكة، الخياطة، الرسم والنحت. ألم تستطع الانخراط بإحدى هذه النشاطات؟».

تنهدت لينا لتفهمها لمشاكل رونزا التي مرت ببالها:

«ولا شيء من كل هذه النشاطات كافية لتعوضها عن العمل الذي تخلت عنه».

«العمل؟» قال بحدة:

«لم يكن عندي أي فكرة انها قد ضحت بأي عمل ما».

نظرت لينا اليه بدهشة.

«انت بالتأكيد تعرف ما كانت تعمل قبل زواجها».

هز كتفيه.

«انت تنسين أنني لم أكن هنا لأعرف كل التفاصيل. اذن ما كان هذا العمل البالغ الأهمية؟».

www.elromancia.com

«كانت تعمل في شركة ويلنغتون للنشر. معظم وقتها كانت تقضيه بنشر أو كتابة المقالات. كما ترى، كانت مثقفة ومتعلمة، وليست مجرد امرأة تهتم للحياكة أو للخياطة - او لأعمال المنزل فقط».

«آه - أنا قلت لك هذا» رد بنبرة قاسية:

«ألم أقل لك ان فتيات المدينة غير قادرات على التأقلم؟ اذن نستطيع الآن معرفة السبب الذي جعلها تشعر بالملل» توقف ثم قال:

«ذكرت سببين، ما هو السبب الثاني؟».

ترددت ثم اعترفت

«أخشى ان السبب هو ماك نفسه. موقفه كان غير مساعد مطلقاً».

«ماك؟ انت تلومينه لفشل زواجهما؟ أنا لا أفهم».

«السبب هو تملكه الخالص. لقد عرض على رونزا عمل مكتبي في وايباوا، لكن جن جنونه ماك لهذا ولم يسمح لها بالرغم من كونه هذا الأمر شيئاً تحتاج له بشدة».

«ولم لا؟ ماك هو شخص منطقي».

«ليس حين يتعلق الأمر بشخص يتخيل انه يمتلكه قالباً وروحاً. كان يريدها ان تكون له وحده. وقد أخبرها انها بكونها زوجته فعليها اطاعته دوماً. حين يصل الى المنزل فهو يتوقعها ان تكون بالداخل ومستعدة للخضوع لأي شيء - لأي شيء يريده» الكلمات الأخيرة جعلت خديها يحمران وارتبكت وأضافت بسرعة:

«في الواقع لقد شعرت انها قد تحولت الى مجرد خادمة».

«وهل هناك أي شيء آخر؟» سألها بصوت منزعج.

ترددت قليلاً قبل ان تتابع:

«هناك أيضاً موضوع المال. قبل زواجها كانت رونزا

تقبض معاشاً شهرياً من الشركة التي تعمل بها، لكن بالتأكيد توقف معاشها حين تركت العمل».

«هذا أمر متوقع».

«بعد هذا كان عليها طلب المال من ماك، وكان يطالبها بأن تخبره عن كل قرش تصرفه وعلى ماذا. لم يكن معتاداً على مشاركة راتبه مع أحد، كما تعرف».

نظر اليها بشك:

«أجد صعوبة في تصديق انه يتصرف ماك على هذا النحو».

«اذن من الأفضل ان تتلطف وتعرف بعض الحقائق قبل ان تصل الى نقد كامل ضد رونزا».

«ماك ليس هنا لأتمكن من سؤاله حول هذه الأمور» أشار بمسحة تسلط.

«وما كنت لتفعل لو انه كان هنا» ردت عليه:

«كنت ستتخلى عن الاستفسار بإقناعك لنفسك ان هذا ليس من شأنك».

تقلصت عيناه:

«وما الذي يجعلك واثقة تماماً مما تقولينه؟».

«لأن الرجال دائماً يتعاضدون معاً. حتى جدي يقف ضد رونزا بدون ان يعرف الحقائق» صمتت وهي تراقب زوجين من البجع تسبحان معاً في المياه لحين قالت أخيراً:

«حسناً، على الأقل سأكون قادرة على اخبارها عن فيليب».

«سأقول لك ماذا تخبرينها عن ابنها فيليب».

«لا، شكراً لك. أفضل ان ألاحظه بنفسي».

«وأنا أفضل ان ترحلي بمفردك» كلماته كانت صارمة.

فتوسعت عيناها وهي تستدير لتواجهه:

«ماذا تقصد؟».

«لأوضح لك بصراحة، أريدك ان تظلي بعيدة عن الصبي».

«بالتأكيد انت لست جاداً؟».

«لا أبداً، منذ متى لم ترينه؟».

«منذ حوالي سنة ونصف. كان هذا قبل...» وماتت الكلمات على شفتيها.

«قبل ان تتركه والدته لرحمة أناس آخرين» أكمل لها:

«من الممكن ان يتذكرك فيليب. وبطريقة ما قد يربطك عقلك الطفولي بوالدته، وثم، وقد أخذ يعتاد على الحياة بدونها، ذكراها ستعود وتتجدد داخله. وهذا، على ما أظن سيكون أمراً مأساوياً».

«انت تحاول جعله ينساها؟» سألته بغضب.

«الا تظنين ان هذا هو الحل الأفضل؟».

«لا، لا أظن» ردت بقوة.

«انت تفضلين ان تريه يبكي مجدداً ويتأوه طلباً لعودتها؟» سألها بمرارة.

حاولت الدفاع عن رأيها:

«كان فقط في الرابعة من العمر حينها. الآن صار في السادسة ولربما قد اعتاد على هذا الوضع».

«لا مطلقاً، هذا أمراً لن أخاطر به أبداً، آنسة كورت ـ لهذا فسأكون ممتناً لك اذا بقيت بعيدة عن نظر الصبي وعن أراضي مارشلاندز» قال بصوت بارد.

ارتفع ذقنها وهي ترد:

«لا رغبة عندي بوضع قدمي داخل انش واحد من ممتلكاتك الثمينة، سيد ماروش».

«وأرجوك لا تشجعي الصبي على القدوم الى هنا. في الواقع أريدك ان تعديني بألا تقومي بأية محاولة لرؤيته.

آمل ان أكون قد أوضحت كلامي جيداً».

كلمات حارة اندفعت الى فمها لكنها ابتلعتها بجهد لن يكون من الحكيم مجادلة هذا الرجل فهذا ما سيجعل مهمتها صعبة.

لهذا فقد أجبرت نفسها على الابتسام وهي تقول:

«أمنياتك واضحة جداً في الواقع. أنا لن أطارده».

«جيد. أنا أيضاً آمل ان أستطيع الثقة بك» قال بصوت قاس.

«ستخاطر بالثقة بفتاة مدينة، سيد ماروش؟».

تجاهل تعليقها وقال:

«أظن ان حياتك في المدينة ملأى بالمرح والحبور؟».

«بالتأكيد هي كذلك. مشاريع، حفلات، وكل ما شابه».

حملت عيناه عدم موافقته:

«تبدو حياة فارغة. أليس عندك أية نشاطات جدية؟».

«ما الذي تقصده. نشاطات جدية، سيد ماروش؟».

«أقصد أفكار جدية حول مستقبلك. الزواج، على سبيل المثال. أستطيع بسهولة تخيل صف الرجال المنتظرين على باب دارك».

«بالتأكيد. سياراتهم المكشوفة مركونة على طول الطريق المؤدية الى المنزل فيما هم يتصارعون على العتبة. وتهرع شقيقتي بمكنسة لتكنسهم بعيداً» قالت وشبح ابتسامة هازئة يتراقص على شفتيها.

«لكن بدون شك هي تسمح لواحد منهم البقاء؟».

«بالطبع ـ أكثرهم مناسبة وموافقة».

«آه، اذن انت تملكين صديقاً خاصاً؟».

«وهل هذا من شأنك؟».

«بالطبع لا».

www.elromancia.com

«اذن لماذا السؤال؟».

«لماذا بالفعل؟» مجدداً تفحصت عيناه ملامحها هذه المرة استغرقتا وقت أطول على شفتيها قبل ان تنزلا الى صدرها.

قوة نظراته جلبت الدماء الى وجنتيها:

«نظرتك المحدقة تصبح شخصية جداً، سيد ماروش» أعلمته ببرود:

«أأنا فتاة المدينة الأولى التي تقابلها؟».

ظل رصيناً:

«لنقل فقط انك من أجملهن».

مديحه زاد اللون الأحمر على وجهها وبالرغم من انها لم تقل شيئاً لكنها شعرت باكتفاء داخلي.

تابع قائلاً:

«سأعتبرك أيضاً أكثر الفتيات تعقلاً ممن قابلتهن - اذا وعدت بعدم محاولتك رؤيتك فيليب».

ضحكت لينا بخفة:

«لا أستطيع ان أفعل ذلك لأنني أستطيع رؤيته الآن. انظر - هناك على الطريق المتعرج. حتى من هنا أستطيع معرفة كم مدى نموه عن آخر مرة رأيته بها...».

قطعت كلماتها صرخة أتت من طرف البحيرة المقابل:

«عمي طومي - عمي طومي».

لعنة ما هربت من بين شفاه طومي وهو ينهض بسرعة وخطواته الطويلة تقوداه بسرعة نحو السور وكانت تركض لتجاري مشيته، لكن حين وصلا الى السور الذي يفصل بين الملكيتين استدار ونظر اليها بغضب:

«ابق هناك - فقط لا تقتربي من ممتلكاتي».

ضحكة متعمدة:

«يا الهي - يا لأسنانك الكبيرة، سيد ماروش».

ثم نظرت الى الصبي على الجهة الأخرى للسور وقالت:

«مرحباً - فيليب، أتذكرني؟».

هز الطفل رأسه نافياً وهو يحدق بها بشك. ثم نظر الى وجه الرجل الطويل القامة:

«السيدة بيتس أرسلتني وراءك، عمي».

«حسناً، لنذهب» وأمسك ذراع فيليب وأخذا يبتعدان والصبي يركض ليجاري مشيته.

«أريد التحدث مع تلك السيدة...» صوت الصغير وصل الى مسامع لينا لكن لم تتحرر ذراعه من القبضة الممسكة بها.

وابتسمت لينا لنفسها وهي تراقبهما وهما يبتعدان وفضول الصبي واضح من خلال النظرات التي كان يرميها بها من فوق أكتافه حالما اختفيا عادت لينا الى الكوخ وأفكارها مشغولة، ودخلت المطبخ وأعدت العشاء. ثم صعدت الى غرفتها لترتب الكتب وتذكرت رونزا ومساعدتها الكبرى لها في نشر قصصها ثم نزلت الى غرفة الجلوس وأشعلت النار داخل المدفأة ثم تذكرت المرة الأولى التي قابلت بها الفتاة النحيلة ذات الشعر الأسود الداكن والتي تكبرها بعدة سنوات.

التقتا في سيارة النقل التي تنقل الناس من مركز المدينة الى ضواحي كلبورن. وحين وصلتا الى طريق منزلهما تفاجأتا بأنهما تعيشان في منزلين متجاورين، وأخبرت لينا انها تعمل في شركة نشر وحين اعترفت لها لينا برغبتها الدفينة بكتابة قصص للأطفال، ضحكت رونزا وقالت:

«لن تنجحي بأمر تفكري به فقط أو تتحدثين به» وأضافت:

«يجب ان تضعي القلم على الأوراق. لم لا تبدأين

بكتابة القصة الأولى، سأساعدك بذلك. فأنا الآن أعمل في قسم كتب الأطفال».

وهكذا بدأ الأمر. لينا، المليئة بالحماس، كتبت قصصاً كانت تطبع على آلة والدها الكاتبة حيث تسنح لها الفرصة، ثم كانت تعطيها لرونزا لتنقدها ولكن بالرغم من انها كانت تتضمن عملاً مضنياً الا ان رونزا كانت تمزقها دون رحمة.

«حاولي مجدداً» كانت تأمرها: «تكادين تصلين».

لكن لينا شعرت انها لا تصل الى أي مكان. لكن طبع العناد عندها جعلها تحاول مجدداً ـ ومجدداً ـ حتى كادت ان تصل الى مرحلة اليأس. وحينها وصل اليوم الذي وعدتها رونزا به بالمساعدة. واتخذت المساعدة شكل مغلف وصل بالبريد.

وبدون ان تصدق عينيها رأت لينا انه كان من الشركة التي تعمل بها رونزا. وفتحت لينا المغلف بأصابع ترتعش وقرأت:

«نشكرك على تقديم نسخة من قصة الحمار الرمادي الصغير الينا ونخبرك أننا سنسر بقبولها للنشر، النشر سيتم خلال السنة القادمة ضمن سلسلة الدرب الزهري».

قرأت لينا الرسالة مرات ومرات ثم تذكرت بعد موجة الحماس والسعادة التي اكتنفتها لتحقيق حلمها أخيراً بأن تكون كاتبة قصص للأطفال، انها لم ترسل أية نسخ للشركة، رونزا بدون شك هي الفاعلة.

هي كانت فقط تعطي رونزا الأوراق لتنقدها وهي بدون شك قد نقحتها وجمعتها في كتاب كامل. والآن وضعت القصة على مكتب الشخص المسؤول عن النشر، هي التي وجهت مجهوداتها الأولية نحو النجاح.

وفي وقت لاحق التقت لينا بالناشر، الذي عبر عن

دهشته لمعرفته انها في السابعة عشر من العمر فقط. شجعها على متابعة كتاباتها، حتى انه اعترف انه يحب أسلوبها في الكتابة والصياغة. حينها أدركت ان عليها اقتناء آلة كاتبة خاصة بها ـ باستطاعتها وضعها في السيارة حين تأتي لزيارة جدها في فروغ هول.

لكن الآن، وفيما هي تنظر الى الأيام السابقة، أدركت لينا انها كانت مخطئة بإخبار رونزا عن فروغ هول.

عينا رونزا العسليتان برقتا بحسد وهي تقول:

«عندك مكان تزورينه في الريف؟ انت محظوظة جداً. كم أحب قضاء عطلة أسبوع بعيداً عن ضجيج وأبواق وازعاج المدينة ـ ان أكون ساكنة هادئة في مكان بعيد عن هذا البناء المليء بالمكاتب والضجيج».

كلماتها أنتجت زيارتها لفروغ هول كدعوة من لينا بسيارتها الصغيرة التي استغرقت أقل من أربع ساعات للوصول. كان هذا شيئاً ترد به قليلاً فضل رونزا عليها.

لكن كيف كان لها ان تعرف ان رونزا ستقابل ماك ماروش، الذي تصادف وجوده عند جدها لطلب مساعدته في التقاط الحملان الضائعة؟ وكيف كان لها ان تعرف انهما سيقعان بالحب من أول نظرة حالما يلتقيان؟ كيف كان لها ان تعرف انهما سيغرقان ببعضهما بشدة ويقرران الزواج فوراً؟.

المراسم كانت مجرد حفلة صغيرة تم فيها التوقيع على عقد الزواج. وكانت لينا الاشبينة الوحيدة وهي كانت ولا تزال مستغربة من سرعة هذا الزواج لدرجة انها اعتقدت انهما لم يتزوجا فعلاً.

وبعد الزواج وفور انجابهما لفيليب بدأت المشاكل تظهر بينهما. وهذا كان نتيجة حتمية لتهورهما وتسرعهما في الزواج هكذا. وبدأت رونزا تشعر بعظم خسارتها لعملها

والذي لم يساعدها بهذا كان موقف ماك من المال.

وتذكرت حين زارت فروغ هول، احدى المرات وذهبت لتزور رونزا، حتى قبل وصولها الى الباب سمعت صوت صراخهما.

ماك كان غاضباً بشدة ويقول انه قد علق في شرك هذا الزواج.

رونزا كانت تصرخ قائلة ان بإمكانه التحرر من هذا الشرك حالما يريد. وأنها سترحل، ستعود الى منزل والدتها هي وفيليب ثم أطلق ماك تهديداته حول جرأتها على أخذ ابنه معها.

في هذه اللحظة دقت لينا على الباب وأملت ان وجودها سيساعدهما بالتهدئة. لكن ماك خرج من المنزل كالرعد وظلت رونزا تبكي قائلة انها لن تستطيع تحمل هذا العذاب لفترة أطول. وبعد فترة قصيرة سمعت لينا ان رونزا فعلاً قد رحلت بعد انفصالها عن ماك.

لكن بالرغم من عدم موافقة جدها بول على تصرف رونزا، وبالرغم من تحيز طومي ماروش الواضح مع ماك، تعاطف لينا كان مع صديقتها. ومجدداً تذكرت ان انسجامها في حقل عملها ما كان ليكون لولا مساعدة رونزا لها ـ ولهذا فالتقرير الذي كانت ستحصل عليه عن طومي كان ذا ثقة مقدسة. كان شيئاً عليها القيام به، لكن السؤال الحارق كان كيف ستتمكن من ذلك؟.

الرد جاءها في اليوم التالي، وكان أسرع مما توقعته لينا.

وحدث الأمر بطريقة أدهشتها لأن الصبي بكل بساطة أتى اليها.

حدث هذا في أوائل المساء حين كانت تحمل أوراقها وتجلس تحت ظلال شجرة كبيرة واستغربت حين سمعت صوت ما يشبه باص مدرسة يتوقف قرب فروغ هول.

لحظات ورأت فيليب الصغير وحقيبة مدرسته معلقة على ظهره يصعد درج الكوخ ثم يطل عبر الباب الزجاجي وحين رأى ان لا أحد في الداخل، اتجه نحو البحيرة.

لينا ظلت مكانها دون حراك، منتظرة ان يشعر بوجودها ولم يستغرقه هذا سوى لحظات اتجه بعدها اليها مباشرة. امتدت لحظات طويلة من الصمت وهو يحدق بها بعناية، وحين تكلم عكست نبرته خيبة الأمل.

«انت لست أمي».

أحست بغصة في قلبها:

«لا، أنا لينا. أتذكر لينا؟».

هز رأسه بالنفي.

«لقد رأيتني البارحة، هل ظننت حينها أنني أمك ولهذا فقد أتيت اليوم لتنظر ثانية الي؟».

طأطأ رأسه موافقاً.

«هل يعرف عمك طومي بأنك أتيت الى هنا؟».

مجدداً هز رأسه علامة النفي.

نظرت اليه بتفكير، شاعرة بالسعادة لهذا اللقاء ومصممة على الافادة منه كلياً. كان صبياً نحيلاً سيصبح يوماً ما طويل القامة، وكان ينظر اليها بعينين عسليتين تشبهان جداً عيني والدته. لكنها لم تستطع ان تنكر تشابه ملامحه الباقية مع والده.

سؤال قفز الى ذهنها:

«لماذا لم يتوقف الباص عند مدخل المارشلاندز؟».

«لأنني لم أسحب مقبض الباب، ولهذا فقد تابع السير. صرخ الأولاد الباقين للسائق لكنه لم ينتبه لهم الا حين. وصلنا الى هنا ـ ثم أوقف الباص وطلب مني الركض نحو المنزل والا فإنه سيضع حشرة ضخمة داخل أذني».

«الا يلتقيك أي أحد عند بوابة المدخل عادة؟».

«ساندرا كانت هناك. صرخت للسائق لكنه لم يسمعها. قفزت الى الأعلى والأسفل ـ أعتقد ان جنونها قد جن لأقصى درجة».

أخفت لينا ضحكتها:

«ولماذا لم تسحب مقبض الباب؟».

«لأنني أردت ان آتي الى هنا» قال ببراءة.

«اذن انت لم تنس فقط ـ وليس الأمر انك لم تستطع الوصول الى المقبض. هذه فعلاً زيارة مدبرة».

طاطأ رأسه دون التفوه بكلمة والاعتراف بشع من عينيه.

حاولت البقاء جيدة لكنها لم تستطع. فقد هربت ضحكة منها وهي تقول له:

«ماذا سأفعل بك؟».

ابتسم هو بدوره وقال بأمل:

«هل عندك أي شيء يؤكل؟ حين أعود للمنزل من المدرسة تعطيني السيدة بيتس بعض الكعك. هي تقول ان على الأولاد الأكل حتى يكبروا».

ضحكت لينا مجدداً:

«حسن جداً ـ سنرى ماذا بإمكاننا ان نجد».

نهضت وتركت القلم والأوراق على المقعد ثم اتجهت معه نحو المطبخ. فسكبت له كوباً من الحليب مع صحن من البسكويت المحلى.

راقبها ثم قال:

«السيدة بيتس تجعلني أغسل يدي قبل تناول الطعام».

«علامة جيدة لها» قالت لينا موافقة بمرح، ثم قادته الى المغسلة حيث فتحت صنبور المياه الدافئة:

«استعمل الكثير من الصابون» نصحته بعد ان رأت المياه التي تحولت الى اللون البني.

بعد لحظات كان يجلس على طاولة المطبخ يتناول

الحليب والبسكويت. هذه فرصتها لتعرف أحواله وأخباره، فكرت لينا ـ لكن من أين تبدأ؟ قالت:

«أعتقد ان السيدة بيتس هي التي تجهزك للمدرسة كل صباح؟».

«لا، ساندرا هي التي تفعل وتغسل لي وجهي وتلبسني ثياب المدرسة. وهي تحضر لي سلة المدرسة فيما تجعلني السيدة بيتس أتناول الفطور. بعد هذا تجعلني ساندرا أغسل أسناني قبل ان نذهب».

«لتصعد الى باص المدرسة؟».

«لا، أنا أعود فقط الى المنزل بالباص. في الصباح توصلني ساندرا الى المدرسة بسيارة حمراء كانت والدتي تستعملها».

تذكرت لينا السيارة الفيات الحمراء التي وضعت تحت تصرف رونزا لكنها لم تشأ التحدث عن والدته أكثر فسألته:

«أتحب ركوب باص المدرسة؟».

«ليس كثيراً. علي الصعود اليه بعد انتهاء المدرسة فوراً. لا أستطيع الانتظار لبعض الوقت واللعب مع أي من الصبيان الآخرين» نبرته صارت مليئة بالتذمر لكنها عادت وأشعت حين تابع:

«يقول والدي أنني أستطيع الحصول على دراجة حين أصبح ولداً كبيراً».

«عليك الانتظار بضعة سنوات قبل حلول هذا اليوم السعيد» أشارت لينا مدركة ان مشكلته الأساسية كانت الوحدة. بعيداً عن الاستراحات بين ساعات الدروس وعن ساعة الغداء في المدرسة، هو يفتقر لوقت اللعب مع الأولاد الآخرين.

ثم متصورة اياه يجلس على مقعد في صف مدرسي سألته:

«أي من الدروس تفضلها؟».

«أنا لا أحب الحساب» أعلن بقوة:

«أفضل الأوقات حين يقرأ الاستاذ قصة ما».

«يوماً ما ستقرأ القصص بنفسك» أخبرته.

أستطيع الآن، قليلاً...».

«اذن فسنرى الى أي مدى تستطيع ذلك».

ذهبت الى غرفة نومها وأحضرت له كتابين لمستوى عمره تقريباً يتحدثان عن حيوانات المزرعة.

الكلمات في الكتاب الأول استطاع فيليب ان يقرأها بسهولة. لكن واجهته بعض الصعوبات في كلمات الكتاب الثاني.

«ما هذه الكلمة، لينا؟» سألها.

قبل ان تتمكن من الإجابة ظهر رجل طويل على باب المطبخ المفتوح فيما قال صوت طومي ماروش البارد:

«لربما هي كلمة طاعة ـ كلمة لم تتعلمها بعد يا صديقي الصغير».

ضحك الولد بسعادة:

«مرحباً، عمي طومي... نحن نتناول البسكويت والمربى».

«نعم، أستطيع رؤية ذلك» علق طومي بصوت جاف:

«أرى أننا نطعم ونمتع بنفس الوقت» ثم استدار نحو لينا وعيناه باردتان من شدة الغضب:

«ما الذي فعلته؟ هل رشوت سائق الباص حتى يحضره الى هنا وينزله في فروغ هول؟» قال موجهاً سؤاله نحو لينا.

صدمت لينا بنظرة طومي المتهمة دون ان تهتز:

«هل انت حقاً تتهمني برشوة سائق الباص؟ أقصد، هل هذا ما تعتقده حقاً؟».

تصلب فمه وهو يجيب:

«من الصعب معرفة ما يجب اعتقاده ـ خاصة حين يتعلق الأمر بفئة معينة من الناس».

«مما يعني انك تعتبرني كاذبة» قالت ضاحكة:

«يا للسيد ماروش المسكين، انه محتار جداً! لربما عليه الامساك بخناق سائق الباص وهزه بشدة، حتى يوضح له ما الذي حصل» والفكرة جعلتها تقهقه من الضحك.

«هذا مضحك جداً» قال بحدة.

«أو تستطيع ان تسأل فيليب كيف حصل واتى الى هنا. أجرؤ على القول انه سيطلعك على الحقيقة، مع أنني لست مؤهلة بنظرك لفعل هذا».

نظر طومي الى الصبي:

«في هذه اللحظة هو غير قادر على قول أي شيء. لأن فمه محشو تماماً بالحلوى».

مضغ بسرعة، ابتلع، ثم توسل الى لينا:

«ألديك حلوى لعمي طومي؟ عمي طومي بحاجة لبسكويت مليء جداً بالمربى».

«هو بالتأكيد بحاجة لذلك».

ردت لينا بضحك وهي تنظر الى الرجل الذي لا يزال واقفاً أمام باب المطبخ:

«ألن تدخل وتجلس؟ ابريق الشاي يغلي وسأقدم كوباً من الشاي».

«لا، شكراً لك» نبرته الصارمة أكدت رفضه وهو يدخل الغرفة ويقطب ناظراً الى الصبي.

قالت لينا بهدوء:

«آه، حسناً، سأصنع الشاي على كل حال» وفيما هي تفعل هذا استمعت لطومي وهو يتحدث مع الصبي.

«لماذا لم يتوقف الباص في مكانه المعتاد؟» سأله:

«ألم تسحب قبضة الباب؟».

www.elromancia.com

«لا» ترافقت الكلمة مع هزة رأس قوية.

«ولم لا؟» سأله طومي بشبه حنق.

«لأني أردت القدوم الى هنا. أردت رؤية لينا».

«ورحبت هي بك بذراعين مفتوحين. ألم أخبرك بألا تقترب من هذا المكان؟ انه خطير للأولاد الصغار».

«ولـلأولاد الكبار» علقت لينا، ثم ندمت فوراً على جملتها هذه وتمنت الا يتنبه لها.

لكنه فعل. وببطء أدار رأسه نحوها وعيناه مركزتان على عينيها:

«الأولاد الكبار، آنسة كورت؟ ما المقصود بهذه الجملة - ان - تعني؟».

«لا شيء - لا شيء البتة» طمأنته بسرعة.

«هل هذا يعني انه من الممكن الترحيب بالأولاد الكبار بذراعين مفتوحتين كذلك؟».

«بالطبع لا» ردت وهي تشعر بالانزعاج من اضطرابها وتسارع اللون الى خديها.

«هذا مؤسف» أجاب:

«قد تكون هذه طريقة لتسهيل الوصول الى تفاهم حول الوضع».

«تقصد جري نحو طريقة تفكيرك؟».

«لا أبداً. قد تستطيعين حتى اقناعي...».

ضحكتها قاطعت كلماته:

«اقناع رجل ضد ارادته - سيبقى هو على رأيه الثابت» قالت مرددة قول أحد الشعراء.

«آه حسناً، كان هذا مجرد اقتراح» ثم استدار مجدداً نحو الصبي:

«من الأفضل ان تعرف ان ساندرا مستاءة جداً. في الحقيقة لقد جن جنونها منك. انتظرتك عند المدخل لكن

الباص تابع سيره. قالت انك ابتسمت لها بإعاطه من خلف نافذة الباص - حتى انه كانت لك الجرأة بالتلويح لها».

توسعت عينا فيليب:

«ماذا تعني كلمة الجر... الجرأة... ماذا تقصد؟».

«انها تعني الخبث - او الاحتيال» أجابه طومي بحدة.

تكلمت لينا بنبرة جافة

«أخشى ان هذه الكلمات فوق مستواه سيد ماروش، انت تتوقع الكثير من طفل في السادسة من العمر، وأنا في الواقع لي خبرة بمفردات الأطفال...» توقفت فوراً وأزاحت بحركة طبيعية الكتب عن الطاولة وحمدت الله لأنهما كانا مقلوبين على الجهة الأخرى.

قال فيليب:

«أرجوك، أأستطيع الحصول على قطعة حلوى أخرى؟». العيون العسلية كانت تنظر اليها بتوسل.

«بالطبع تستطيع» ردت بسرعة وأعطته قطعتين.

تكلم طومي مع فيليب بلهجة أكثر نعومة:

«سنأكلهما في طريقك الى المنزل، أيها الصبي المشاغب. ستدور حول البحيرة، تسلك الطريق المتعرج وتتبع طريق الحقل. ستذهب الى ساندرا وتشرح لها سبب عدم نزولك في المكان المعتاد - وستعتذر لها عن التسبب لها بالاستياء والقلق مفهوم؟».

طأطأ فيليب رأسه دون ان يتكلم.

توقعت لينا ان يرافق طومي الصبي، لكنها أدركت فوراً، عدم نيته بالذهاب بل وقف عند المدخل يراقب فيليب وهو يدور حول البحيرة ويصل الى الطريق المتعرج، ثم حذرتها حاستها من ان غضبه كان على وشك السقوط كالصاعقة على رأسها هي.

بسرعة سكبت كوبين من الشاي:

www.elromancia.com

«تفضل واجلس، سيد ماروش».

دعته بلطف:

«أعرف انك على وشك اقتلاع رأسي من مكانه - فبإمكانك فعل هذا وأنت جالس. هل هذا الشاي ثقيل بما فيه الكفاية؟ هل تحبه مع الحليب والسكر؟».

نظر اليها ونظرة استمتاع تلتمع داخل عينيه الرماديتين.

«هل انت دائماً عنيدة هكذا، آنسة كورت؟ أم ان هذه مجرد محاولة لسحب الرياح من شراعي؟».

نظرت اليه بتساؤل:

«ما الذي تقصده بقولك هذا، سيد ماروش؟ حقاً... أنا لا أفهمك».

«أتحاولين تركي عاجزاً بمحاولتك المتعمدة هذه لتلطيف غضبي بإظهارك لكرم الضيافة هذا؟ ستكونين نصف ذكية اذا اعتقدت أنني لا أستطيع الرؤية خلال تكتيكاتك الصغيرة هذه».

أجبرت نفسها على التحدث بتعاطف:

«ألست معتاداً على تقبل الضيافة الكريمة، سيد ماروش؟ هل لهذا تبدو دائماً عصبياً؟».

«أنا لست عصبياً» رد بانزعاج.

«لا؟ كدت ان تخدعني. فهذه هي الطريقة الوحيدة التي أراك بها دوماً».

«قلت أنا لست عصبياً».

«اذن برهن هذا باحتسائك للشاي معي».

«الأمر فقط أنني قلق على الصبي».

«لا داعي لقلقك من الأصل، فدعنا نثرثر بموضوع آخر. مسموح لك ان تتكلم وفمك مليء بالحلوى والمربى» وقربت منه صحن الحلوى.

«يجب ان أعترف ان شكلهم غير مشجع».

«هذا لأن الحلوى طازجة، حين أكون هنا أنا أحضرهم لجدي كل صباح».

نظر حوله وقال:

«ألم أرى كتب أطفال هنا؟ هل هم أيضاً لجدك؟ أنا لا أعتقد انه يمر بمرحلة طفولته الثانية بقراءته لمثل هذه الكتب».

«آه، انها فقط موجودة هنا» شرحت فوراً وحماستها تحذرها من معرفته لمجال عملها، ليس الآن على الأقل وإلا فإنه سيعتبر كتابتها للقصص دافعاً آخر يجعل فيليب يأتي اليها دوماً.

وهي تفكر بهذه الأفكار لم تكن عالمة ان أشعة شمس الأصيل كانت تتسرب من النافذة وتتسدل على شعرها وتحيله شعلة من اللهب. وكذلك نفس الأشعة كانت تنعكس على صدرها وبلوزتها الخضراء الصوفية الناعمة وتعطي عينيها لون الزمرد الرائع. وحين شعرت انه يحدق بها بقوة نظرت اليه مباشرة وقالت:

«شيء ما حولي يثير قلقك دائماً، سيد ماروش؟».

راقب ارتقاص اللون قرب فمها ثم قال بهدوء:

«أعترف ان هذا صحيح. أعتبر انك شديدة الخطورة».

كلماته أذهلتها، فسألته:

«ما الذي تعنيه بحق السماء؟».

«بالتأكيد بإمكانك فهم ما أعني بمفردك؟» علق ولوى شفتيه.

«لا، لا أستطيع. ليس لدي أدنى فكرة عما تحاول قوله. حقيقة كونك عدائياً معي شيء واضح - لكن ان تعتبرني شديدة الخطورة شيء لا أفهمه» حدقت به ثم توقفت لتأخذ نفساً قبل ان تتابع:

«لربما تكون طيباً كفاية لتشرح لي بنفسك».

www.elromancia.com

«سأفعل لو كنت أستطيع» أعلمها بغموض:

«في هذه اللحظة أستطيع وصف الأمر فقط على انه حدس تحذيري وخوف يحذرني من حفرة مخفية».

توسعت عيناها بعدم تصديق:

«حفرة؟ تقصد شرك أو مصيدة».

«شيء من هذا القبيل» اعترف بنبرة غامضة.

«وهذا... الشرك المخفي... يتضمنني؟».

تردد قليلاً ثم قال:

«هو بالأحرى يتضمن نتائج. أعني نتائج عن حقيقة كونك هنا».

«لكنك تعرف سبب وجودي هنا. هل من الضروري تذكيرك ان جدي بحاجة لشخص يهتم به - على الأقل فترة من الوقت؟».

«أنا شخصياً أعتقد انه بحاجة لشخص أكبر سناً منك، وعلى فترة دائمة» نظر اليها بتفكير قبل ان يسألها:

«كم قلت ستبقين معه؟».

«أنا لم أقل. لكن لماذا يزعجك هذا؟».

نظر اليها دون التفوه بكلمة، ونظرته محدقة جداً كأنه يريد ان يقرأ الأفكار داخل رأسها ثم سألها بنعومة:

«ما الذي يدور بخلدك؟».

«أستطيع الاحساس بخوف مستتر خلف هذا السؤال، سيد ماروش، أخبرني هل انت دائماً سلبي مع الغرباء الذين يتجولون قرب حدود ممتلكاتك او الذين يسلكون الطريق المتعرج لإلقاء نظرة على المكان؟».

«فقط حين أكون مجبراً على التساؤل حول مخططاتهم».

«انت لا تتخيل بالطبع ان عندي أية مخططات فيما يتعلق بك» قالت ثم ندمت على ما قالته.

التوى فمه بطريقة هازئة وقال:

«أية مخططات تتعلق بي ستكون مجرد اضاعة للوقت» أخبرها بنبرة ساخرة:

«أنا أتمالك نفسي جيداً جداً حين يتعلق الأمر بالنساء».

حدقت به بعينين مبتسمتين:

«حقاً؟ هل تقول انك تكره النساء؟».

«أنا أقول أنني لا أهتم لهن كثيراً، أنا مشغول جداً لإلتفت لهكذا أمر».

ظلت تنظر اليه بتسلية كأنها تنظر الى نوع جديد من فصيلة الرجال:

«يجب ان أعترف انك تدهشني. معظم الرجال يخصصون ولو وقتاً قصير للنساء».

«ماذا تقصدين؟ لماذا أنا أدهشك لأنني لست على علاقة مع أنثى ما؟».

حملت الأكواب ونهضت الى الحوض ثم التفتت لتحدق به:

«ولا للحظة واحدة اعتقدت انك من هذا النوع. وأنت حتى لا تحمل شيئاً من ملامح ذلك النوع».

دكن وجهه وهو يقول بصوت حاد:

«ماذا تعنين بحق الجحيم؟».

«حسناً، اذا كنت حسب اعترافك شديد الحساسية من النساء، فأعتقد انك تنتمي الى... الى الشاذين. وقد قيل لي انهم حتى لا يرغبون بتقبيل الفتاة...» ندمت على الكلمات باللحظة التي نطقت بها شفتاها، شاعرة بالارتباك الكامل لتحدثها بهكذا موضوع، فقد عضت شفتها وأخذت تنظر عبر النافذة الى الخارج.

لكنه كان على قدميه بلحظة ولعنة ما تهرب من بين أسنانه وهو يديرها لتواجهه:

www.elromancia.com

«سأضعك حالاً في المكان الذي جررتني اليه» قال بقوة ثم ثبت ذراعيها حولها وضغط على جسدها بجسده.

ثم وبدون توقع وفيما تحاول ادارة وجهها عنه أطبق على فمها بقبلة قاسية مسيطرة كان المقصود بها اثبات القوة والسلطة لا أي شيء آخر.

أدركت ان أنفاسه صارت متلاحقة وأن نبضاتها كانت تتسارع بشدة. لكنها حررت فمها منه:

«انت... انت حقاً وقح» قالت بغضب، وعيناها تلتمعان، وخداها كورقة الوردة الحمراء.

أصبح وجهه دون تعبير:

«شعرت بثقة انك تريدين ان تعرفي سواء أكنت أجيد تقبيل الفتيات أم لا».

«لم أفعل - وما كنت لأهتم».

«بلى شعرت انك تشككين. دعيني أبرهن لك ثانية».

«بالطبع لا... لا داعي لذلك».

لكن بالرغم من احتجاجاتها فقد نفذ كلامه، مع ان هذه المرة القبلة كانت أقل عنفاً وهو يلامس شفتيها بإغواء بفمه قبل ان يقبلهما بحرارة وعمق تظهر رغبة دفينة كانت تتوسل لتتحرر.

أعصابها كانت تشتعل حتى بعد ان ترك فمه شفتيها، وحين تركت ذراعاه جسدها استطاعت فقط ان ترمش عيونها بحركة بطيئة:

«انت لا يحق لك ان تفعل هذا» قالت دون النجاح بأن تظهر انها حقاً غاضبة.

«انت بنفسك جعلت هذا ضرورياً» أعلمها ببرود:

«شكلك الكبير بأنني لا أنتمي الى جنس الذكور العاديين أعطاني الحق بإثبات أنني قادر على تقبيل الفتاة التي تستحق ان تقبل. هل انت الآن مقتنعة بهذه الحقيقة

المهمة؟».

شعرت برغبة قوية لتقهقه ضاحكة، لكنها قررت ان تطأطأ رأسها بموافقة دون ان تتكلم.

«أنا أيضاً قادر على فعل أكثر من هذا» تمتم وعيناه تلتمعان بخبث.

«أنا واثقة من هذا» اعترفت بوهن وهي تحاول السيطرة على ارتجاف صوتها:

«لكن الآن... أنا... أنا أعتقد ان عليك المغادرة».

«لماذا؟» وتركزت يده على كتفيها وهو ينظر الى وجهها:

«هل انت خائفة من ان أقبلك ثانية؟ أم السبب هو الخوف من ان تجدي نفسك بحاجة للمزيد - المزيد - من هذه المتطلبات».

نعومة الاقتراح جعلها تقول بغضب:

«انت تمتدح نفسك، سيد ماروش. فقط حاذر لخطواتك - وإلا فستجد نفسك في شباك شركي الخاص».

«أستطيع التأقلم مع شباك هذا الشرك - أيتها الجنية النارية». تمتم بصوت مبحوح بغرابة.

وحالما انتهى من الكلام تصلبت قبضته على كتفيها وضمها مجدداً اليه وقبلها مجدداً، لكن هذه المرة كانت قبلة رقيقة ناعمة. كانت اغواءاً لطيفاً لغرائزها وأحاسيسها جاعلة قلبه ينتفض بشدة وبددت كل رغبة داخلها لمقاومته.

وأخيراً انتهت، لكن بدون ان يبعد ذراعيه من حولها قال وعيناه على وجهها:

«هذا كان أفضل. كدت ان تنجاوبي. والآن - هل تعدينني؟».

شعرت بالحيرة:

«أعدك بماذا؟».

«ان تتذكري طلبي لك فيما يختص بفيليب. اذا عاد الى

فروغ هول عليك ان ترسليه فوراً الى المنزل».

«أستطيع ان أرى بانه يجب الا يسمح له بالتلاعب مجدداً» قالت دون ان تنطق بأي وعد.

«اذن على الأقل نحن نصل الى مكان ما» قال متحدثاً مرة أخرى بنبرة راضية.

ابتسامة تفهم ظهرت على وجهها وحدقت به متسائلة:

«اذن هذا هو السبب لكل تلك القبل».

قطب قائلاً:

«ما الذي تحاولين قوله؟».

«حسناً، من الطبيعي انها كانت مجرد وسيلة اقناع لأوافق على طريقة تفكيرك كانت في الحقيقة، نموذجاً من شباكك ـ الخاصة. أليس كذلك سيد ماروش؟».

تصلب صوته وهو يقول:

«ذاكرتك كما تبدو ضعيفة فأنت لا تذكرين سبب تلك القبل. شيء يتعلق برجوليتي، اذا كنت أتذكر. على كل حال، في حال انها قد ساعدت على ارشادك نحو خط تفكيري، فإذن قبلة اضافية لن تكون خاطئة...».

كانت ممزقة بين رفع رأسها واخباره ان يرحل حين سمعت صوت سيارة في الخارج.

فقالت لينا:

«لا بد ان جدي قد عاد».

دخل بول المطبخ بعد لحظات وحي طومي بطريقة عادية ثم جلس على كرسيه وملامحه تعكس التعب والارهاق. ثم حين رأت عيناه ابريق الشاي قال:

«هذا ما أحتاجه بالضبط الآن».

«سأصنع ابريقاً جديداً» قالت لينا بسرعة.

تحدث طومي مع بول قائلاً:

«ألاحظ انك لا تزال تربي القطعان السوداء».

تنهد الرجل المسن:

«نعم. لم أظن يوماً أنني سأحصل على قطيع كامل منهم. حتى ولو كان القطيع قليل العدد. يبدو كأنني صرت المصدر الوحيد للصوف الأسود للأشخاص الذين يحبكونه في المقاطعة. هم يأتون ليتفحصوا طول التيلة، نوعيتها وألوانها المتدرجة من الرمادي الى الأسود الداكن».

ترتيبات قص الصوف كانت على وشك ان تبدأ، وكان طومي وبول يتحدثان بهذا الموضوع أثناء اعداد لينا لإبريق الشاي.

قال طومي:

«لقد أصيبت مايزي بيتس بعدوى الحياكة. وهي تنتظر ان يجز صوف خرافك».

«حقاً؟ اذن فلتأتي الى هنا في أول يوم لجز الصوف، فعندها ستتمكن من الاختيار من المجموعة الأولى» قال بول وتناول قطعة حلوى من الصحن الذي لا يحتوي الا على قطعتين.

قال طومي معتذراً:

«أخشى ان مخزونك من الحلوى قد تبخر. فقد تناولت أنا حصتي. فيما قام فيليب بالقضاء على ما تبقى».

ظهر الاستمتاع على وجه ماكس:

«الصبي كان هنا؟ انت أحضرته الى هنا؟».

«بالطبع لا. وجدته هنا وأرسلته الى المنزل» ثم غير الموضوع متابعاً:

«يجب ان أهنئك على مهارة حفيدتك في الطهو».

«انها الأمهر في كل شيء» تمتم بول وهو ينظر نحو لينا بحب وحنان:

«لا شك انها قد أخبرتك حول خططها ونشاطاتها؟».

«لا، لم تفعل» قاطعت لينا جدها بحدة وتابعت:

www.elromancia.com

«ولا هي تنوي ان تفعل ذلك».

نظر طومي اليها باستمتاع وقد رفع حاجبيه:

«خطط؟ نشاطات؟ ما هذه الخطط والنشاطات؟» سأل بصوت عادي محاولاً اخفاء فضوله.

لكن لينا قالت بصرامة:

«انها أمور تخصني وحدي، سيد ماروش - وسأشكر جدي لتذكره لهذه الحقيقة».

«آسف لأني تكلمت» قال بول باعتذار:

«ما هذه الطريقة بالمخاطبة؟ الا تستطيعين مناداته بطومي؟».

ضحك طومي:

«انها طريقة لينا بإبقاء نفسها بعيدة عن متناول أحد» نهض ليرحل، واستدار نحو لينا متابعاً:

«أثق انك لن تنسي؟» بنبرة تحمل نقمة هامة.

«أنسى؟» رددت بدهشة وهي تنظر اليه بحيرة. هل كان يقصد عناقهما الأخير؟ الفكرة جعلت خديها يشتعلان.

الشرح أتى بسرعة:

«طلبي المختص بفيليب - اذا اهتممت بالتذكر».

«آه، هذا» وبدا صوتها خاوياً.

«نعم، هذا. أظننت أنني أقصد شيئاً آخر؟».

كان من المستحيل عدم ملاحظة مسحة التهكم داخل عينيه ولهذا فإن ردها كان بارداً متعمداً:

«وماذا يمكن ان يكون غير هذا؟».

«في الواقع، ماذا غير هذا؟» ثم طأطأ راسه مودعاً بول وبلحظات كان في طريقه نحو السور والطريق المتعرج.

وقفت تراقبه وهو يبتعد. لقد انزعج مني، فكرت، لأنني لم أخبره عن مخططاتي ونشاطاتي. ثم اكتنفها شعور من نوع آخر حيث تذكرت انها قبل دقائق كانت بين ذراعيه

وتتقبل قبلاته.

الذكرى حملت معها شعور دافىء، وبالرغم من انها حاولت ان تبقى عديمة التأثر، الا ان الغضب فشل في السيطرة عليها. ثم الصدق أجبرها على الاعتراف ان ملمس ذراعيه حول جسدها كان لطيفاً - وأن ضغط شفتيه على شفتيها كان شيئاً لا ينتسى.

تكلم بول من وراءها:

«ما كان كل هذا الحديث حول النسيان؟ لم أنجح بفهم ما يعنيه؟».

استدارت لتجد عينيه، الزرقاوين تحدقان بها:

«آه، أرادني ان أعده، لكنني لم أفعل» وتابعت لتخبره كيف وصل فيليب اليها والسبب الذي جعل طومي ماروش يأتي الى هنا. وحين انتهت بإخباره عن عدم موافقة طومي وجدت جدها ينظر اليها بجدية.

«انه على حق» علق بول:

«يجب الا تشجعي الصبي على القدوم الى هنا. هناك أيضاً موضوع الانضباط. يجب ان يتعلم الصبي ان يقوم بما يطلب منه».

«لكن، جدي كيف بإمكاني ارساله بعيداً؟ عندي رغبة قوية بإعطائه كل الحب، بحضنه بين ذراعي...».

قاطعها جدها:

«يجب ان تكوني حكيمة أكثر وتحضني صبياً كبيراً، تحضني رجلاً يحملك بين ذراعيه».

«لا تكن سخيفاً جدي» قالت لينا وهي تضحك دون ان تنظر الى وجهه.

«الآن هذا الرجل طومي ماروش - أعتقد انه غير مرتبط».

«وهل هذه حقيقة؟ اذن ماذا، جدي؟».

www.elromancia.com

«انه يتمتع بالاستقرار» تابع الجد:

«انه رجل بكل معنى الكلمة ويقف على أسس ثابتة».

«وأين من المفترض ان يقف جدي؟ في الهواء؟» قالت لينا وهي لا تزال تقهقه.

«انت تعرفين ما أقصد» تمتم:

«ودعيني أخبرك بهذا ـ انه رجل مناسب تماماً. عروسه ستحمل الى منزل محاط بآلاف من الهكتارات لأراضي زراعية من الدرجة الأولى».

«يا لحسن حظها. وهل الأراضي تتضمن فروغ هول؟ أعتقد انك تعرف انه يريد ابتلاع المكان؟».

«بالطبع أعرف ـ وهذا أمر مفهوم كون المكان كان جزءاً من ممتلكات مارشلاندز» توقف بتفكير ثم تابع:

«حسناً، سيحصل على هذا المكان فقط اذا تزوجك».

الصدمة أذهلت لينا:

«ما ـ ماذا قلت؟».

«انت في طريقك لترثي المكان. وقد ألمح بهذا له».

ضحكت ورفضت ان تأخذه على محمل الجد:

«افعل هذا جدي، وحين يركع على ركبتيه طالباً يدي فأخبره انه يفعل هذا فقط لأنني مليكة الضفادع».

ظل جدياً:

«أنا أعني ذلك يا فتاة. حين أرحل، هذا المكان سيكون لك».

فكرة موته أرعبتها:

«أرجوك لا تتحدث عن الموت جدي... أنا ـ أنا لا أتحمل سماع ذلك».

«لكن كلنا سنرحل يوماً، وسيأتي يومي عاجلاً أم آجلاً. حين أرحل أريد ان أكون متأكداً ان أحدهم سيرعى الكلب ميك جيداً. لا أريده ان يباع لغريب يضع قدمه في ضلوعه

ويؤلمه فقط لأن المسكين لا يعرف ماذا ويريد منه» توقف ناظراً اليها بجدية ثم تابع:

«عديني ـ انه اذا رحلت أنا فجأة انك ستلجئين لطومي».

«التجأ اليه...؟».

تابع متجاهلاً عينيها المنذهلتين:

«ميك يعرفه، وأنا متأكد انه سيعتني بالكلب جيداً. وأنا متأكد ان مايزي بيتس ستعتني بالقط لاكي جيداً» تابع بتنهيدة ثقيلة.

التنهيدة هي التي صحت شكوكها، ثم عقلها تنبه لما يحاوله جدها:

«جدي ـ انت أيها الذئب العجوز المحتال، انت تدفعني نحو طومي حسناً، لن تنجح حيلك هذه».

«ما الذي لن ينجح؟» سألها دون ان ينظر اليها.

«محاولاتك الخبيثة بالتكتيك».

«أنا واثق انني رأيت بريق اهتمام داخل عينيه حين نظر اليك».

ضحكت:

«خيال صرف، لطالما تساءلت من أين ورثت خيالي الجامح، والآن عرفت. جدي العزيز، من الأفضل ان تعرف أنني لست واحدة من الفتيات اللواتي يفضلهن».

«بسبب الصبي؟ ستكونين غير حكيمة بجعل الصبي يدخل بينكما».

«انت تستبق نفسك جدي. لا شيء بيننا ليدخل الصبي به. بحق السماء جدي، أنا بالكاد التقيت بطومي ماروش».

«قد تحدث الأشياء بسرعة» أشار بول:

«شخصياً أنا أعتقد انك ستكونين حكيمة اذا أطعت

www.elromancia.com

أمنيات طومي بإرسال فيليب الى المنزل عندما يأتي اليك».

هزت رأسها برفض:

«لا جدي» قالت بهدوء:

«اذا أتى مجدداً فأنا لن أرسله بعيداً، واذا بدأ يربطني بوالدته - كما يخشى طومي - فقد يجعله هذا يشعر انها ليست بعيدة جداً رغم كل شيء».

تقلصت عينا بول:

«الا ترين ان أفكارك الفلسفية ستسبب المشاكل بين الجيران؟».

«يا للكلمات الكبيرة التي تستعلمها جدي» قالت بإغاظة ثم أضافت باتهام:

«لا تستطيع خداعي. انت فقط تخشى الا يجز صوف قطيعك في زرائب مارشلاندز».

«هراء» قال بول:

«طومي دائماً يظل عند كلمته، هو لن يتراجع عما قاله فقط لأنه منزعج من فتاة طائشة».

نظرت اليه بعينين قلقتين:

«جدي، أرجوك صدقني حين أقول لك ان لا نية عندي لخلق المشاكل بين الجيران، لكني لا أستطيع ان اجعل ذلك الصبي يشعر أنني أرفضه. هل من الممكن لك ان تتفهم ما أعنيه؟».

طأطأ راسه:

«بالطبع أنا أفهم قصدك. أعتقد انك لا تريدينه ان يشعر بأنه يتعرض للرفض والتخلي عنه ثانية؟ فكلانا يعرف انه قد رفض من قبل والدته».

«ليس تماماً» دافعت لينا:

«لقد طلبت مني رونزا ان أطلعها على أخبار الصبي. هي متلهفة لتعرف أخباراً عنه، وكيف يقضي أيامه بدونها».

«اذن تستطيعين ان تخبريها ان الصبي يعيش بسعادة بوجود السيدة بيتس والفتاة ساندرا اللتين تهتمان به. وأنا أشك انه يفتقد لأمه ولو للحظة».

«لربما انت على حق» ردت بحزن. رغم انها عرفت ان هذا غير صحيح.

فيليب أتى ليراها لظنه انها قد تكون والدته. هذا يعني انه لم ينس رونزا، بالرغم من انه قد توقف عن طلب رؤيتها. على كل حال لم ترغب لينا بمتابعة المناقشة بهذا الموضوع ولذا قالت:

«يجب ان أذهب الى السوبر ماركت غداً. فنحن بحاجة لبعض الطحين والمشتريات».

أخذت بعد هذا تعد طعام العشاء وذهبت أفكارها الى طومي ماروش وتذكرت عناقه لها! هل حقاً عانقها وقبلها لمرات ثلاثة؟ الذكرى جعلت أنفاسها تتلاحق، لكنها وبخت نفسها وأجبرتها على التمالك قائلة انه ولا شك قد قام بنفس الشيء مع كل فتيات المنطقة وأن ما حصل لا يعني شيئاً له - ولا لها.

الفكرة الأخيرة أزعجتها وشعرت ان صفة الدون جوان - زير النساء - لا تناسب شخصيته، المتزنة المستقرة، كما وصفها جدها.

لم تستطع الذهاب الى السوق في اليوم التالي باكراً كما أرادت، فقد انشغلت بتنظيف الكوخ وثم وضعت مخططاً لقصة للمراهقين خطرت في بالها في ساعات الصباح الباكرة وأرادت تسجيلها قبل ان تتبخر من رأسها.

كانت تعد طعام الغداء حين سمعت صوت باص المدرسة، تسارعت دقات قلبها حين مر من أمام فروغ هول، لكنه لم يتوقف وتابع سيره فأدركت ان فيليب لم يقرر ان يزورها ثانية. على الأقل، ليس اليوم.

بعد وقت قصير كانت تقود سيارتها الصغيرة نحو البلدة.

كانت البلدة تبعد حوالي الميلين وكانت لينا على وشك الوصول حين رأت فيليب يمشي بمفرده في طريق منزله.

خففت سرعتها حتى تراقبه، وترى ما الذي يلفت اهتمامه. وحين اقترب ورآها أشرق وجهه وهتف:

«مرحباً، لينا».

انحنت وفتحت له الباب المقابل:

«ما الذي تفعله هنا؟ لماذا لم تأخذ الباص؟».

«لقد فاتني».

«بالتأكيد المعلمة لم تبقيك داخل الصف؟».

«لا، كنت أشاهد المصارعة» والتمعت عيناه وهو يتابع:

«حين خرجنا من المدرسة اثنان من الصبيان الكبار أخذا يلكمان بعضهما البعض، كل الصبيان الباقين شكلوا دائرة حولهما. الجميع كان يصرخ حتى وصل الأساتذة وأبعدوهما عن بعضهما. حين وصلت الى البوابة كان الباص قد رحل، ولهذا فعلي الآن العودة مشياً على الأقدام».

نظرت اليه بتفكير:

«أعتقد انه من الأفضل ان تأتي معي. عندي رسالة أضعها في البريد وبعض المشتريات. وبعدها سأوصلك الى المنزل».

وصلت الى السوبر ماركت وانتقت ما تحتاجه فيما كان فيليب يجر عربة التحميل.

ثم بعد ان أمنوا الأغراض في السيارة، ذهبا الى مركز البريد حيث وضعت لينا الرسالة. مرا بطريقهما الى مركز البريد بحديقة عامة كبيرة كان فيها عدد من الأولاد يلعبون ويتأرجحون. وكان فيليب يمشي بجانب لينا والسعادة تقفز من عينيه، مما جعلها تتساءل ان كان مشواره معها الى

السوق هو رحلة سعيدة ملؤها الغبطة بالنسبة له.

كانا في طريق عودتهما الى السيارة عبر الحديقة العامة، حين ترك فيليب يدها فجأة وركض نحو رجل يخرج من بنك نيوزيلند على الطرف الآخر للحديقة وهو يصرخ قائلاً:

«عمي طومي، عمي طومي - أنا مع لينا».

وقف طومي مكانه، منتظراً لحظة وصولها. نظراته الحادة كانت تشير الى مدى الغضب الذي يعتمل داخله وظل فمه متصلباً وهو يحييها قائلاً:

«اذن، فقد أخذت على عاتقك احضار الصبي الى البلدة».

«ليس تماماً...» بدأت.

«أخذته من المدرسة، أليس كذلك؟» قاطعها باتهام.

«مجدداً، ليس تماماً».

«أمن غير الممكن لك استعمال ذكائك في هذا الموضوع؟ أليس لديك أي ذرة تحليل؟».

«كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذه الطريقة؟» ردت بغضب.

«أعتقد انني قد أوضحت ما أريد بدرجة كافية...».

«ما تريده لا يهمني، سيد ماروش، سأقوم بما أظنه مناسباً، وبدون أي مشاورة معك».

تصلب فمه وهو يقول ببرود:

«عاملة صامتة انت، لا؟ هل هذا ما قصده جدك حين تحدث عن مخططاتك ونشاطاتك؟ أذكر انك كنت غامضة ومتسترة لشرح ما يعنيه. هل تتضمن المخططات حفلة ما؟».

فيليب كان الأسبق ليقول:

«عمي طومي، أنا أتضور جوعاً».

نبرة طومي كانت لا تزال باردة:

www.elromancia.com

«أتقول لي انك لم تتناول الحلوى والمربى هذه المرة؟».

«هذه المرة؟».

هز الصبي رأسه بإنكار.

نبرة طومي صارت جافة:

«هذه تصرفات تدعو للصدمة. أتعتقد ان بإمكانك التسلية بكوب كوكتيل حليب؟».

هز الصبي رأسه موافقاً:

«نعم، أرجوك، وكوب لينا أيضاً».

ردت لينا بسرعة:

«لا شكراً ـ الشرب قد يخنقني».

تجاهل طومي الملاحظة الأخيرة:

«سنذهب الى المطعم. وسترافقنا الآنسة كورت. لتشاركنا بشرب كوب من الشاي».

«هذا ما تعتقده» ردت بسرعة وحنق.

وجهه ظل متصلباً:

«أنا أدين لك بكوب من الشاي. أريد ان أرد هذا الدين لك الآن وأنا أتحدث معك حول احضارك للصبي الى البلدة. يبدو انك لم تستلمي الرسالة بعد».

«أفترض أنني رفضت مرافقتك الى المطعم؟».

«عندما سأكون مستمتعاً لأرى ان كنت ستصرخين وتشتمين وأنا أحملك الى هناك. سيكون هذا المشهد حديث البلدة».

التوى فمها بسخرية:

«انت طاغية، سيد ماروش، هل تعلمت طرق التسلط والتحكم من ابن عمك ماك؟».

قطب وهدد:

«هل ستأتين لتناول كوب الشاي دون جلبة؟».

«شكراً لك. سيد ماروش. لربما سيساعدني الشاي على تحمل الغضب الذي سيهوي فوق رأسي».

قادهما طومي الى مطعم قريب وطلب الشاي. الساندويش وكوب كوكتيل حليب لفيليب. راقبها وهي تسكب لهما الشاي ثم علق بطريقة هازئة:

«يداك ترتعشان. لماذا؟ هل تشعرين بالعصبية ـ أم بالذنب؟».

كان محقاً، أدركت لينا. يداها لم تكونا ثابتتين وتعليقه كان كافياً لتضبط ارتعاشهما.

رمته بنظرة احتقار وقالت وذقنها مرتفع:

«سخريتك لا تؤثر بي، سيد ماروش لـ... لهذا فأنا سأتجاهلها».

تعابيره ظلت جليدية:

«لكني لا أنوي تجاهل حقيقة احضارك للصبي الى البلدة».

«كما حدث الأمر، يبدو وكأنني قد قمت ببعض المطاردات، ويجب ان أقول ان هذا لا يحدث كل يوم».

«اذن فقد قررت ان تستفيدي من الوضع» رد بغضب:

«مع انك مدركة تماماً لطلباتي فيما يتعلق بعلاقتك مع الصبي. هل يجب ان أعيد على مسامعك الأمر مجدداً؟».

«ردده ما شئت» قالت:

«أنا لست ملزمة بطلباتك» أرسلت له ابتسامة عبر الطاولة متابعة:

«ما الذي يجعلك تتخيل ان أمنياتك موجودة على رأس سلم أولوياتي؟».

«ليس المشكلة مشكلة أمنياتي ـ الأمر هو الشيء الأفضل والأنسب لشخص معين» أوضح بنفاذ صبر.

«وأنت تعتقد ان أمر هذا الشخص لا يهمني؟» سألته

بحدة ثم أضافت:

«انت مخطأ تماماً» ردت بنفاذ صبر:

«أنا أهتم بأموره حتى أعماق قلبي. وأيضاً، لقد وصلت في الوقت المناسب».

«وماذا يعني هذا؟».

«آه، ليس الكثير» قالت ولم ترغب بمزيد من الشرح وأخذت تنظر الى الصبي الذي عندما انتهى من شرب عصيره أخذ ينفخ بالكأس عبر القشة، مصدراً أصوات الفقاعات وقال:

«عمي طومي لقد شاهدت عراكاً اليوم!».

ارتفعت الحواجب الداكنة فيما العينان الرماديتان تنظران الى لينا:

«ماذا يقصد هل أظهر بول العجوز بعض العنف؟».

ضحكت رغماً عنها وقالت:

«لا، وجودي لم يثيره بعد حتى هذه الدرجة. بعكس بعض الأشخاص الذين لا أستطيع تسميتهم، فهو لم يقل بعد انه كان يفضل لو كنت في طريقي الى ويلنغتون الآن».

- د ، بها بصمت، مفتشاً عن رد مناسب، لكن فيليب هو الذي تكلم قبله.

«كان ذلك في المدرسة، عمي طومي ولدان كبيران لكما وضربا بعضهما البعض وتدحرجا على الأرض وتعفرا بالغبار، ووقف كل الصبيان حولهما يراقبونهما. وأخذت بعض الفتيات بالبكاء. احدى الفتيات ضربتهما بحقيبتها المدرسية» الذكرى جعلت عيناه تتوسعان.

«كانت معركة حامية، كما يبدو» علق طومي:

«وأعتقد انها جرت فيما يسمونه فرصة تناول الطعام؟».

«لا، لقد حدثت بعد المدرسة» تابع فيليب:

«أتى أستاذان ليبعدا الولدين، ثم طلبا من الجميع بأن يذهبوا الى منازلهم».

«بمن فيهم انت» علق طومي.

طأطأ فيليب رأسه وهو يأكل الكريما من كأسه.

«أعترف أنني أشعر ببعض الحيرة» تابع طومي:

«كيف كان بإمكانك رؤية صراع الأيدي هذا اذا كنت داخل باص المدرسة؟ أنا أعرف انه يغادر المدرسة فور قرع الجرس الأخير».

هز فيليب كتفيه:

«الباص لم ينتظرني. حين وصلت الى البوابة كان قد رحل. عمي طومي، يجب ان تخبر سائق الباص هذا ان ينتظرني...».

«خاصة اذا كنت تشاهد عراكاً، أخشى ان عليك ان تعتبر هذا درساً لك، أيها المشاغب الصغير. الباص - كالوقت - لا ينتظر أحداً».

توقف فيما هو يحدق بالصبي:

«اذن ماذا فعلت بعد هذا؟».

«بدأت بالعودة الى المنزل مشياً على الأقدام».

«طريق طويل أمام خطوات الحلزون» علقت لينا.

قال فيليب:

«وعندها رأتني لينا. أوقفت سيارتها وصعدت أنا ثم أتينا لتشتري لينا احتياجاتها من السوبر ماركت».

«متطلبات وليمة كاملة من الحلوى والمربى» تمتمت لينا مرسلة نظرة تسلية نحو الوجه الصارم.

أكمل فيليب:

«ووضعنا الرسالة في البريد، ثم رأيناك، وأحضرتنا انت الى هنا، عمي طومي، أريد الخروج لألعب بالأراجح».

«حسناً، اذهب، لكن لا تغادر مكان اللعب حتى نحضر

نحن اليك» أمر طومي الصبي الذي خرج من الباب مسرعاً.

راقبت لينا طومي الذي كان يحدق بكوبه رافعاً حاجبه الأن بتقطيبة تفكير عميقة. وفيما كانت متشوقة لتطلق العنان للضحكة التي كانت تتحرق داخلها، منعها حذرها لأنها كانت تعلم ان معظم الرجال يكرهون ان يضحك احد عليهم، وشكت ان يكون طومي استثناءً على القاعدة. وأيضاً هذا سيعطيه سبباً اضافياً ليغضب أكثر منها. فقالت بلطف:

«يكاد الضوء ان يخترق سواد استنتاجاتك الخاطئة وشكوكك الغير عادلة، سيد ماروش؟».

نبرته صارت متهمة:

«كنت تعرفين حول العراك. لماذا لم تخبريني انك وجدته وهو في طريقه الى المنزل مشياً على الأقدام؟».

«لأن هذا سيكون مخيباً لآمالك» قالت بابتسام.

«مخيباً لآمالي؟ ما الذي تعنيه بحق السماء؟».

«كان سيفقدك سبباً في ان تكون أكثر عصبية معي».

«لا أزال لا أعرف عم تتحدثين؟».

«ألم تلاحظ انه كلما التقينا انت تجد الأسباب لتكون منزعجاً مني؟ سيكون من المؤسف كسر هذه الأمثولة».

ملامحه عكست التسلية وهو يقول بتهكم:

«أبدو وكأنني أتذكر بعض اللحظات من البارحة حين أخذ انزعاجي يتبخر ببطء».

أصبح خداها حمراوين وهي تجد صعوبة بالنظر الى وجهه. لكن ظل وجهها جدياً وهي ترميه بنظرة مباشرة، وبالرغم من صعوبة ابقاء صوتها ثابتاً فقد قالت بهدوء:

«تلك كانت مجرد تعبير عن اعتذارك الكبير. مثل جميع الرجال تعتقد ان بإمكانك تقبيل الفتاة كلما شعرت برغبة

بذلك. حسناً، أعتقد ان هناك دائماً مرة أولى، وأخيرة لمعظم الأشياء».

«أتقدمين لي تحدياً؟» سألها بلطف:

«أمن الممكن انك تحبين اعادة مشهد البارحة؟».

أذهلها الاقتراح:

«لا، بالطبع، لا».

«أنا لم ألاحظ الكثير من الاحتجاج من طرفك» ذكرها.

«هذا فقط لأنني قررت ان أدعك تكمل ما بدأته وتنتهي» ردت بحدة:

«وأيضاً، كيف بإمكاني مقاومة قوة وصلابة قبضتك؟».

«تقصدين حين حضنتك بقوة بين ذراعي؟ اذا كانت ذاكرتي تسعفني بدقة، كان ذلك حين شعرت بشفاهك تتحرك تحت شفاهي» أغاظها بلطف:

«لم لا تكونين صادقة وتعترفين انك أحببت كل لحظة مما حصل؟».

«لأنه لا يوجد شيء للإعتراف به» كذبت بصوت بارد، شاعرة انها منافقة. لقد تمتعت بقبلاته وبإحاطة ذراعيه لخصرها، لكنها لم تكن مستعدة بعد للإعتراف بهذه الحقيقة، ولا حتى لنفسها.

ارتسمت ابتسامة على فمه المثير. ثم تفصلت عيناه وهو ينظر اليها:

«أرى ان أمامي مجالاً واحداً لأخطو به. في المرة القادمة يجب ان أضع جهداً أكبر في التجربة».

«التجربة؟ هل كان هذا ما حدث؟» عكس صوتها الخيبة:

«ما الذي يجعلك تعتقد ان بإمكانك اجراء التجارب معي؟ الا يهمك اذا ما تورطت مشاعري بالموضوع؟» تابعت باحتقار:

«حقاً، انت بالضبط مثل ماك».

قال بنبرة صارمة:

«اشرحي ما تقولين. كيف أنا حقاً مثل ماك؟».

«توجهاتك نحو النساء تبدو متشابهة جداً له. لم يكن ماك يكترث بتاتاً لمدى أذيته لرونزا، فيما انت ـ كما هو واضح ـ لا تكترث البتة لمدى أذيتك لي» صوتها كان به ارتعاشة وبحة بسبب الحرقة التي تشعر بها في حنجرتها.

«تبدو فتيات المدينة قادرات تماماً على تخطي الحواجز والعوائق العاطفية». علق بجفاف.

«هذا ما تعتقده انت» ردت بانزعاج كامل:

«لو لم أكن غير... غير مهتمة بك مطلقاً، لكنت بدأت حتى بكرهك لكن هذا، كان كما تدرك غير صحيح. قد لا يعجب هو بها، وكما يبدو يكرهها، لكنها لن تكرهه بتاتاً».

ضحك ضحكة صغيرة:

«هل هذا صحيح؟ أثق انك لا تنسين ان الكره هو قرين الحب؟» الكلمات الأخيرة نطقها بنعومة فائقة.

ضحكت هي بدورها:

«الحب، سيد ماروش؟ الرجال الذين يفكرون فقط بأنفسهم يعرفون القليل القليل عن الحب».

تصلب فمه وهو يقول:

«باعتبار انك تعرفين القليل القليل عني، آنسة كورت، انت لست في موقع يؤهلك للحكم سواء أكنت أعرف أو لا أعرف شيئاً عن الحب».

«ولا رغبة لدي مطلقاً بأن أكون بهكذا موقع» ردت بنعومة، ثم ناظرة الى ساعتها أضافت:

«شكراً لك على الشاي، لكن لقد حان الوقت فعلاً لأعود الى المنزل. أتسمح لي بالسؤال ان كنت أستطيع أخذ فيليب معي ـ أم انك تفضل ان تبعده عن رفقتي

المشكوك بها؟».

تجاهل نبرتها الساخرة وهو يسأل:

«ستأخذينه مباشرة الى منزلي؟».

«بالطبع».

«اذن سأكون ممتناً لك اذا فعلت. لدي موعد مع محامي».

«مما سيجعل الاهتمام بصبي صغير أمراً صعباً ـ ومما يعني انك لا تمانع ببقائه معي في الأوقات التي تحلو لك. أأستطيع الاقتراح ان تتصل من مكتب محاميك لتتأكد من وصوله سالماً الى مارشلاندز؟».

«أشك ان هذا سيكون ضرورياً» أعلمها وهو ينهض رافعاً احدى حاجبيه:

«أهذه عادتك بإبقاء نقمتك دائماً على النار؟».

اغتصبت ابتسامة:

«فقط حين يكون الناس دائمي العدائية معي. وأن يكونوا عديمي الثقة بي أيضاً. يشتعل سخطي حين ينظر الناس الى أبسط تصرفاتي بشك وعدم يقين. اذن، هل نذهب؟».

«نعم. أنا أكره ان أتأخر عن المواعيد. وشكراً لك لاعتنائك لفيليب هذه الأمسية...».

«سيد ماروش ـ انت حقاً تدهشني».

تجاهل نبرتها:

«سأراك لاحقاً» قال بصوت عادي.

هذه الكلمات بدورها أدهشتها:

«آه، ومتى سيكون ذلك؟».

«من المحتمل هذا المساء. انت محقة حين تقولين ان هناك عدائية بيننا. انها كالغمامة السوداء المعلقة فوق رأسينا ـ غمامة يجب ان ترسل بعيداً».

عبارته جعلت معنوياتها ترتفع:

«وكيف تقترح ان نزيلها؟». سألته بخفة.

«بمحاولة معرفتك أكثر. لا أرى مانعاً من ان نكون أصدقاء».

أصدقاء، هي كلمة محدودة، قررت ملاحظة تركيزه على الكلمة. هل كانت هذه طريقته بإفهامها أنه حر وأنه يرغب بأن يبقى كذلك؟ حسناً، هذا يجعلهما اثنين لأنها هي أيضاً تريد ان تظل حرة ـ او هذا ما قالته لنفسها. ثم كلماته الباقية ظلت تذهلها.

بلطف تابع

«هذه الليلة سأصطحبك الى الخارج ـ هذا اذا رغبت بذلك طبعاً».

نظرت اليه دون التفوه بكلمة منتظرة سماع المزيد منه.

«سنذهب لحضور احتفال افتتاح مشغلاً فنياً. أنا عضو فيه، رغم أنني لست عضواً فاعلاً، ويسمح لي باصطحاب ضيف معي. هل ستأتين؟».

«نعم، شكراً لك. يبدو مسلياً».

«جيد. سأمر لاصطحابك في الساعة السابعة».

غادرا المطعم ومشيا الى الحديقة القريبة المحاطة بالأشجار. صرخات الأولاد المبتهجة كانت تصل الى مسامعهم وهم يتأرجحون ويلعبون. وجدا فيليب يتزحلق على احدى الألعاب وشعره الداكن يطير في الهواء، وحين وصل الى الأسفل ناداه طومي.

«لقد تعبت بما فيه الكفاية، أيها الصغير. ستعود الى المنزل الآن ـ برفقة لينا».

أمسكت أنفاسها، لقد دعاها حقاً لينا، لا بد ان هذه زلة لسان منه. ثم راقبته وهو يبتعد.

وصلا الى قرب مدخل مارشلاندز ونظر فيليب اليهما

بعينين متوسلتين:

«لا أريد الذهاب الى المنزل. أريد الذهاب الى منزلك».

حدقت بالطريق أمامها:

«آسفة فيليب. لقد وعدت عمك طومي بإعادتك مباشرة الى المنزل. وايضاً، ألم يطلب منك عدم الذهاب الى فروغ هول؟».

طاطأ فيليب رأسه:

«ليلة البارحة جلس على سريري وأخبرني ان فروغ هول مكاناً خطراً للأولاد الصغار ـ وللأولاد الكبار كذلك».

رمته بنظرة جانبية سريعة:

«هو قال ذلك؟».

طاطأ فيليب رأسه مجدداً:

«قال انه أحياناً السيدات ذوات الشعر الأحمر يكن ساحرات شريرات حقاً ـ ويجب ان تركض ناجياً بحياتك».

مسحة من السخط اجتاحت لينا:

«هو حقاً قال هذا؟».

«بالطبع، أنا متأكد. وقال انهن يكن شريرات حقاً حين يكون لهن عيون خضراء تلتمع وتبرق حين يأتي ضوء الشمس عليهم». التفتت ليحدق بها بجدية:

«هل انت حقاً ساحرة شريرة، لينا؟».

«أأبدو مثل هذا؟».

«لا» فكر ثم قال:

«كل الساحرات في قصصي يملكن أنفاً طويلاً وأسناناً كبيرة».

«من يشتري القصص لك؟ والدك، كما أعتقد؟».

«لا. قال عمي طومي انه حان لي الحصول على قصص جديدة. تجعلني ساندرا أحتفظ بهم في غرفتي. تقول انه

يجب ان أكون مرتباً».

قالت لينا:

«أود ان أرى كتبك وقصصك. وكذلك غرفتك، أتعتقد ان بإمكانك ان تريني اياها؟».

«اذا ـ اذا سمحت لي ساندرا» قال بشك.

«اذن سننتظر ونرى اي نوع من الاستقبال ستتلقى. شيء ما يخبرني انها لن تكون مسرورة منك».

فهم معنى كلماتها:

«ستكون غاضبة جداً مني. هي دائماً تكون غاضبة مني».

لم تتابع لينا هذا الموضوع. كانا قد وصلا مدخل المنزل المزروع بشتى أنواع الأشجار المثمرة والمزهرة. الطريق كان يتلوى في طريقه صعوداً نحو المنزل، عبر الأراضي الخضراء المفروشة بالأزهار الطبيعية الرائعة الجمال. أوقفت السيارة قرب شرفة خلفية وفتح باب فور ايقافها للسيارة، وخرجت منه امرأتان احداهما مكتنزة وفي أواسط الأربعينات، فيما الأخرى شقراء شابة تكبر لينا نفسها بعدة سنوات. السيدة بيتس، وساندرا والش، فكرت لينا وهي تنظر اليهما باهتمام. أسرعت ساندرا بنزول السلالم ووجهها متورد وعيناها الزرقاوتان تلتمعان بغضب وهي تنظر الى فيليب الجالس داخل السيارة:

«أعتقد انك حفيدة بول العجوز؟» قالت للينا.

«نعم، أنا هي...».

«يا لجرأتك» تابعت ساندرا:

«تعلمين أنه ممنوع على الصبي ان يقترب من فروغ هول. لماذا لم تحضريه الى المنزل قبل هذا الوقت؟».

تماسكت لينا واختبرت صبرها:

«هو لم يكن في فروغ هول ـ على الأقل ليس اليوم».

«انت كاذبة» اتهمتها ساندرا بقوة.

أخذت لينا نفساً عميقاً وقد اشتعل غضبها:

«كيف تجرؤين؟».

أسرعت مايزي بيتس بالاقتراب منهما وتقطيبة قلقة على وجهها:

«لا تكوني متسرعة ساندرا» نصحت:

«قد يكون هناك خطأ ما ـ وأنت تعرفين جيداً انك دائماً تقفزين الى الاستنتاجات الخاطئة».

ابتسمت بإعتذار للينا:

«أخشى ان ساندرا كانت منزعجة جداً وقلقة».

تدخل فيليب قائلاً:

«سيدة بيتس، لقد شاهدت عراكاً. اثنان من الصبيان الكبار...».

أسكتته ساندرا فوراً

«اخرس، فيليب. فقط اخرج من هذه السيارة واصعد الى غرفتك» ثم حين لم يتحرك الصبي من مكانه استدارت نحو السيدة بيتس:

«أرجوك حاولي ان تخرجيه من هذه السيارة. نحن لا نريد عرضاً من الصراخ والنحيب وأنا أسحبه منها لربما يأتي بيرت ليساعدنا».

نظرت لينا اليها بفضول:

«هل انت دائماً بغيضة هكذا بتعاملك معه؟».

«نعم انها كذلك» أكد فيليب الذي اقترب من مقعد لينا وكأنه يلتمس الحماية من الغضب الذي سيسقط على رأسه.

قررت لينا انه قد حان الوقت لإخبار السيدة مايزي أين وكيف التقت بفيليب، وفيما هي تفعل ذلك ركض الصبي من مقعده ووقف بجانب مدبرة المنزل ونظر الى وجهها

قائلاً:

«سيدة بيتس، أريد ان أري لينا كتبي، وغرفتي».

صوت ساندرا قاطع بحدة:

«بالتأكيد ممنوع ـ نحن لا نسمح بدخول الغرباء الى هذا المنزل» كلماتها القاسية جعلت الصبي يبكي، فحاولت لينا جهدها لتهدأته. وندمت على طلبها السابق هذا برؤية كتبه، وقالت له:

«فيليب الذي جلس على احدى درجات السلم وأخذ يبكي ويشهق.

منظر بكائه الحزين هذا كان مؤثراً على السيدة مايزي، التي تنهدت وقالت:

«لا بأس ـ لا أظن ان في رؤيتها للغرفة أية أذية، ويجب ان ننعم بالهدوء بأي ثمن» ثم ابتسمت للينا وهي تضيف:

«تعالي معي. أنا واثقة ان طومي لن يمانع، انه رجل متفهم جداً، كما ولا بد انك لاحظت ذلك بنفسك».

حقاً؟ تساءلت لينا. في هذه اللحظة هي ليست متأكدة من ماهية شعورها نحو طومي ماروش، مع انها كانت تعرف ان هناك شيء ما في شخصيته يجعل نبضها يتسارع.

تركت السيارة وتبعت مايزي الى المطبخ العصري الحديث. وعبر باب منه دخلتا الى ممر مفروش بالسجاد السميك، ومن هناك صعدا السلالم نحو الطابق العلوي بينما فيليب كان يسبقهما، وقد تلاشت دموعه بأعجوبة وهو يثرثر بإثارة ومتعة ومشت ساندرا وراءهم بصمت معارض.

عند أعلى السلالم كان هناك ممر طويل، وقادتها السيدة مايزي الى احدى الغرف قائلة:

«هنا ينام فيليب. وقد كانت غرفته غرفة الأطفال منذ تأسس هذا البيت وكان فيه العديد من الأطفال الأحباء ذاك

الحصان الخشبي الهزاز كان لجد طومي ومن بعده لعماته ووالده. انه حقاً تحفة أثرية».

«ماك ابن عم طومي أليس كذلك؟».

«هذا صحيح، انه ابن عمه» أعلمتها مايزي:

«يدعوه طومي بابن العم، أتقولين انك تعرفين ماك؟».

«لقد قابلته» اعترفت لينا باختصار، ثم غيرت الموضوع وهي تنظر الى الحصان الخشبي الأثري:

«انه قطعة مجسدة من الجمال، أتستطيع امتطائه فيليب؟».

«بالطبع أستطيع» أعلن باعتزاز وهو يصعد اليه بخفة وسرعة.

قالت مايزي:

«السماء وحدها تعرف متى يمتطيه فرسان المستقبل من الأطفال ـ لكن أخشى ان فكرة الزواج لا تهم طومي مطلقاً».

لم تتجاوب لينا مع تعليق مايزي وركزت انتباهها على الصبي:

«لقد وعدت بأن تريني كتبك وقصصك فيليب».

نزل عن ظهر الحصان بسرعة وقال:

«يجب ان أبقيهم هنا» قال وهو يقودها الى مكتبة صغيرة في الطرف الثاني من الغرفة.

تحدثت ساندرا بصوت جليدي:

«تأكد من ان تبقيهم بشكل مرتب. لا نستطيع ان ندع الغرفة بحالة فوضى دائمة».

«انه مجرد صبي صغير» احتجت مايزي

«بعض الأحيان أعتقد انك قاسية جداً وصارمة معه».

«يجب ان يكون نظامياً» ردت ساندرا بجمود.

«عنده الكثير ليقنع به» تابعت مايزي:

«فأمه قد تركته ووالده الآن في عطلة بعيدا عنه...».

«يبدو انه على ما يرام» أشارت ساندرا ببرود.

«هذا لأن عمه طومي بجانبه ويرعاه» قالت لينا وهي تتصفح احدى كتب فيليب:

«بدون شك يشعر عمه بالمسؤولية اتجاهه».

«ولهذا فقد منع فيليب من الذهاب الى فروغ هول» قالت ساندرا:

«أثق انك مدركة تماماً لهذا الأمر» العينان الزرقاوان التمعتا ببرود وهما تحدقان بلينا.

لكن لينا بالكاد سمعتها. فصورة ما كانت داخل الكتاب الذي تمسكه، سقطت على الأرض فانحنت لينا والتقطتها. حدقت بها ووجدتها احدى صور حفلة زفاف رونزا وماك وكانت الصورة للعروس المبتسمة بإشراق والعريس ولينا. نعم هي نفسها بشعرها الأحمر وفستانها الأخضر الذي اشترته خصيصاً لهذه المناسبة.

رأتها ساندرا تحدق بالصورة فقالت:

«الا يزال هذا الشيء هنا؟ انها صورة والدته. سأخذها وأبعدها عن هذا المكان».

صرخ فيليب بقوة:

«لا! لا! انها لي...».

تحدثت مايزي بحدة:

«الا تركته وشأنه، ساندرا. الصورة ملك للصبي والأكثر من هذا، أعتقد انه قد حان وقت تحضيرك لوجبة طعام الصبي».

قال فيليب بصوت عالي:

«لن آكل السبانخ أو الجزر...».

«ستأكل كل ما سيقدم لك» ردت ساندرا بحدة وهي تغادر الغرفة.

راقبتها لينا وهي تخرج ثم قالت لمايزي:

«هل هي دائماً شديدة العصبية هكذا ونزقة؟».

ابتسمت المرأة باعتذار:

«أحاول ايجاد التبريرات لها، لأني أعتقد انها متوترة وحزينة. انها في وسط دوامة لكنها لن تصل منها الى أي مكان».

ارتفعت حواجب لينا وقد قفز السؤال الى فمها:

«أتقصدين انها مرتبطة عاطفياً بـ...».

«بطومي؟ آه، لا، لقد قلت ان طومي لا يهتم بأي فتاة أو بفكرة الزواج».

ثم تابعت بصوت هامس:

«الفتاة المسكينة تبدو مغرمة بغاري بالمر، الذي عمل هنا، لكنه يعاملها بطريقة عادية جداً».

ذكر اسم طومي ذكر لينا انها ستخرج معه هذا المساء. و أدركت ان عليها تصفيف شعرها، فنظرت الى ساعتها ثم قالت:

«يجب ان أعود الى المنزل، وإلا فسيعتقد جدي أنني قد غادرت الى مكان مجهول».

«تماماً مثل والدة الصبي» قالت مايزي بصوت هامس حتى لا يسمع فيليب:

«على كل حال، أنا لم أر أي زواج يفشل دون أخطاء من الطرفين، مع ان الأنثى هي دائماً من تتلقى اللوم الأسوأ دوماً».

فيليب الذي سمع آخر الحديث سأل لينا:

«ماذا تعني كلمة أنثى؟».

ابتسمت له ثم قالت:

«أنا واثقة ان العم طومي سيكون قادراً على شرحها لك، وقد يخبرك انها تشبه الساحرة الشريرة» أضافت وهما

www.elromancia.com

ينزلان السلالم.

خلال عودتها الى الكوخ ظل فكر لينا معلقاً بالحصان الخشبي وبدلاً من ان تتذكر فيليب وهو يتأرجح عليه، تخيلت طومي صغيراً يمتطيه وابتسامة هانئة على وجهه.

طومي لا يهتم لفكرة الزواج! كانت هذه كلمات مايزي، ولكن هذا لا يعني انه يعيش عيشة النساك. وفجأة فكرة وجود طومي في أحضان امرأة أخرى جعلتها تشعر بالانزعاج وحذرتها حاستها من الطريق الذي كانت تخطوه أفكارها...

عند وصولها حضرت بسرعة طعام العشاء ثم استحمت واللفافات على شعرها ووصلت الى السؤال المحير ماذا سترتدي؟.

لا شيء من ملابسها التي أحضرتها معها كان رسمياً كفاية لحضور معرض الأرتيزانا، ثم قررت ارتداء تنورة حريرية طويلة وبلوزة مشمشية من الدانتيل المخرم وحين كانت ترتدي الحلق سمعت جدها يفتح الباب لطومي.

ألقت نظرة أخيرة على نفسها في المرآة قبل ان تخرج للقائه، وفيما هي تنظر الى شكله الأنيق الوسيم، شعرت بقوة بالعطر الرجولي الذي ينبعث منه ويلامسها. هذا كان كافياً لتسارع نبضات قلبها.

نظر طومي اليها لعدة لحظات، وعيناه تعكسان اعجابه بمظهرها وبطريقة تصفيفها لشعرها والخصل الصغيرة المتدلية بنعومة وإغراء على مؤخرة رقبتها. لكن كل ما قاله كان:

«ستحتاجين الى معطف أو جاكيت ما».

«عندي هذا» ورفعت شالاً يدوياً بلون الكريم عن الكرسي المجاور أخذه منها ولفه حول كتفيها. ثم أخذ يزرر لها أزراره المتعاكسة، فيما هو يفعل هذا ظلت تعابيره

عادية.

رافعة نظرها اليه، وجدت لينا نفسها غير قادرة على سحب عينيها بعيداً عن وجهه، وكانت مدركة أيضاً ان جدها كان ينظر اليهما باستمتاع. وكأن جدها يتوقع من طومي ان يقبلها، فكرت وقد تأكدت من هذا حين همس جدها في أذنها:

«لا تنسي ان تخبريه عن مليكة الضفادع».

لحسن الحظ كان طومي قد سبقها الى السيارة فاستطاعت لينا ان تقول لجدها بصوت منخفض:

«هلا توقفت من فضلك عن القفز الى الاستنتاجات، جدي الحبيب؟».

الرحلة الى المعرض استغرقت أقل من عشر دقائق، وفيما هما في الطريق أخبرها طومي القليل عن النادي هذا الذي تأسس قبل عشرين سنة تقريباً. صوت نبرته العميقة كان له وقعاً جميلاً في أذنيها، جاعلة، اياها تتمنى لو كانت الرحلة أطول مسافة.

«يقومون بأعمالهم اليدوية في مدرسة قديمة تتكون من أربع غرف كبيرة وقاعة مركزية» أخبرها:

«عندهم معدات مثل، التلوين، الخزف، الأنولة، وغيرها».

«يبدو كأنك تعرف الكثير حول الأشغال اليدوية» علقت.

«فقط من خلال مايزي بيتس. انها عضو من مجموعة حياكة الصوف وهي ستكون بالتأكيد هنا هذا المساء».

لن يكون هناك أي شيء مثير بهكذا عرض، أدركت لينا، لكنها رغم هذا كانت تشعر بفرحة عارمة داخلها واثارة تنمو بسرعة. وفيما قالت لنفسها ان السبب ان هذه الحفلة شيء مختلف وجديد، الصدق أجبرها على الاعتراف ان السبب هو دعوة طومي ماروش لها بمرافقته لحضور هذا

المعرض. بعد كل شيء لا شك كان باستطاعته دعوة غيرها لمرافقته ـ لكنه اختارها هي.

المدرسة القديمة كانت بناءاً حجرياً كبيراً وكان هناك العديد من السيارات الراكنة في الساحة الواسعة، ركن طومي سيارته بينها ثم أمسك بذراعها وهما يقطعان الطريق نحو المدخل.

ضغط يده على ذراعها سبب بتسارع نبضها ورغم انها شعرت باحمرار اللون على خديها الا انها لم تكن مدركة ان لمسته كانت قد أشعلت البريق في عينيها ولم تكن منتبهة أيضاً للأناس الذي أخذوا يحدقون بهما وهما يدخلان. كانت الغرف تغص بالناس الذين يثرثرون ويحتسون النبيذ وهم ينظرون الى المعروضات الكثيرة من الصور، اللوحات المنحوتات، الأشغال اليدوية وغيرها. وكان طومي يعرف الكثيرين من المدعووين فعرفها على بعضهم لكنها لم تحفظ اي اسم من أسمائهم. وفيما كانت تنظر الى قطعة من الخزف لامست يد ما ذراعها فالتفتت لتجد مايزي بيتس تقف قربها.

عيناها البنيتان ضحكتا للينا وهي تقول:

«العديد من الأشخاص قد سألونني عمن تكونين؟».

ذهلت لينا: «آه؟ ولماذا أثير اهتمامهم؟».

«لأنك تبدين رائعة، ولأنك معه بالطبع. هو يعرف العديد من النساء، لكنه لا يصطحبهم معه مطلقاً. يبدو وكأنه يريد ان يتباهى بك».

«كمعروضة خاصة به» علقت لينا وهي تضحك وعيناها تستقران على طومي الذي ابتعد قليلاً ليتحدث مع أصدقائه. مرتدياً بذة رسمية، بدا شديد الوسامة والجاذبية لدرجة انها كانت تشعر بالفخر لمرافقته، ومجدداً شعرت بشيء ما يهز مشاعرها.

نبرة مايزي صارت مألوفة وهي تضع يدها على ذراع لينا:

«يا عزيزتي، معظم هؤلاء الناس يعرفون انه العازب الأشهر، ولهذا فلا يمكنهم الا ان يكونوا فضوليين».

«من الممكن انهم يعرفون أيضاً ان عنده حساسية ضد فتيات المدينة، وهكذا فهم لن يذهبوا بعيداً بفضولهم» ردت لينا.

انضم طومي اليهما مجدداً في هذه اللحظة ونظر الى مايزي قائلاً:

«أحب ان تدعي لينا تشاهد أعمالك الخاصة».

ظهر السرور على وجه مايزي وهي تقول بتواضع:

«آه، حسناً... لا شيء خاص بأعمالي».

عادوا الى غرفة الأشغال الصوفية حيث كانت القطع الصوفية المحاكة وكذلك الشراشف تعرض بشكل جذاب والاشارة الحمراء على القطع كانت تدل ان معظم شالات وكنزات ومصنوعات مايزي الصوفية قد بيعت. ولم تستطع لينا الا ان تشتري أحد شالات مايزي الرجالية لجدها ثم رأت عيناها شالاً نسائياً بلون الكريم رائع الحياكة، فتخيلته حول أكتاف شقيقتها فاشترته أيضاً.

علق طومي قائلاً:

«تستطيعين ان تصنعي كل هذه الأشياء اذا تعلمت الحياكة. أنا متأكد ان مايزي ستعلمك. لقد علمت العديد الأشخاص ـ أليس كذلك مايزي؟».

توسعت عينا مايزي من الدهشة وقالت:

«نعم، بالطبع سأعلمك ـ في الواقع هذا سيعطيني الكثير من المتعة. عندي نول حياكة اضافي أستطيع ان أعيرك اياه، وهناك الكثير من الصوف».

«وخاصة وموسم قص الصوف على وشك ان يبدأ» قال

طومي:
«سيشعر بول بالغبطة حين يرى حفيدته تنسج صوف خرافه».

لم تعلق لينا بشيء، وهي تنقل بصرها بين وجه مايزي المبتسم وملامح طومي المتحمسة. وشعرت فجأة انها تدفع الى القيام بنشاط لم تفكر به مطلقاً من قبل، كما وأدركت ان وقتها يجب ان يكرس لكتاباتها فقط، على كل حال، لا رغبة عندها بالتفوه بالرفض المباشر ولهذا فقد كانت شاكرة لأن القهوة والحلوى وصلت وتمكنت بالتالي من تناسي المتابعة بهذا الموضوع.

عادا الى المنزل بعد وقت قصير وحين أوشكا على الوصول الى فروغ هول، سألها طومي السؤال المتوقع:

«اذن، ما هو رأيك بالمعرض؟».

«بصراحة، لقد دهشت بنوعية وتنوع المعروضات الجميلة» اعترفت.

«جميعها قد صنعت بيد نساء ريفيات» أشار بجفاف:

«بعضهن يعيش بعيداً في المزارع» فيما هو يتكلم خفف السرعة واقترب من حافة الطريق ثم أوقف السيارة.

هذا التصرف جعلها ترميه بنظرة تساؤل. كانا لا يزالان بعيدين قليلاً عن المنزل، وكما يبدو هو يريد ان يأخذها بين ذراعيه. وفيما هي تنتظره ليفعل هذا أخذ قلبها ينبض بشدة.

لكن عوضاً عن الاقتراب منها تحرك على مقعده واستدار ليواجهها:

«على كل النساء ان يتمتعن بهواية ما» قال.

ظلت صامتة لإدراكها انه يريد قول أكثر من هذا. ولم تكن مخطئة مطلقاً.

«تستطيعين ان تشاهدي المجال الذي كان مفتوحاً أمام

رونزا» تابع:

«بالرغم من مقدراتها التثقيفية كان بإمكانها تعلم مهارات جديدة».

«نعم، أستطيع ان أفهم ما تعنيه» قالت بهدوء. ثم استدارت لتواجهه بدورها:

«أهذا هو السبب الذي اصطحبتني لأجله لحضور المعرض هذا المساء؟ أكان الهدف تعريفي عما كان باستطاعة رونزا ان تقوم به؟».

«ليس بالضبط» تردد ثم اعترف:

«كنت امل فعلاً بأن أريك انت ما بإمكانك ان تفعلي».

شعرت بالحيرة:

«لي أنا؟ و لأي سبب؟».

نظر بعيداً عنها محدقاً بالظلام خارج الزجاج:

«لأني أعتقد ان عليك الاستمتاع بنوع من النشاطات التي يقوم بها النساء الريفيات».

«ألست تتجاهل انني سأعود قريباً الى منزلي في ويلنغتون؟».

«نداء المدينة مرتفع وواضح؟» سألها بشبه سخرية.

«ليس بعد، لقد كنت منشغلة جداً لأسمع حتى بصوتها الهامس. وأيضاً، أنا أحب البقاء مع جدتي. لن أحظى برفقته الى الأبد».

استدار ليواجهها مجدداً:

«ألم يقل ان عندك خطة ما؟ أهذا ما يبقيك منشغلة جداً؟».

أبقت صوتها هادئاً:

«أعتقد ان بإمكانك قول هذا».

«لكنك لا تنوين ان تخبريني عن هذه الخطة».

ظلت صامتة، وقد كرهت الاتجاه الذي كانت تسلكه

www.elromancia.com

هذه المحادثة.

«أهناك حاجة ملحة لهذه السرية؟» أصر.

«ولماذا عندك حاجة ملحة لتعرف عنها؟» سألته مدركة ان تعليق جدها حول وجود خطة لديها كان أمراً سيئاً.

فقد أثار هذا فضول طومي والآن ترددها في الشرح سيزيد من شكوكه وظنونه

«انني أتساءل اذا ما كانت هذه الخطة تتضمن الصبي؟» سألها.

«لقد سبق وأخبرتك انني أنوي ان أكتب لوالدته رونزا تقريراً حوله ولا شيء آخر».

لم لا تخبره حول نشاطاتها الأخرى؟ سألت نفسها. الجواب كان واضحاً بما فيه الكفاية. تخشى تهكمه. اذا كنت تكتبين، فلم لا تكتبين للبالغين؟ سيسألها هذا بصوت ملؤه التهكم. أم ان هذا لن يحدث؟.

ثم انقطع الصمت بينهما بصوت طومي القائل:

«حسناً - لقد وصلتني الرسالة. انت تطلبين مني ان اهتم بشؤوني الخاصة فقط» قال وأدار محرك السيارة.

بقية رحلة العودة استمرت بصمت متوتر وشعرت لينا بالامتعاض. لأن طومي متضايق بشدة منها. لكن، بعد كل شيء لماذا يزعجها هذا؟ لقد كان منزعجاً منها لعدة مرات سابقة. لا؟.

حين وصلا الى فروغ هول ابتسمت له قائلة:

«شكراً لك لإصطحابي الى المعرض. لقد تمتعت بذلك».

رده كان عادياً وبارداً:

«أنا مسرور لأن مايزي قد باعت الكثير من معروضاتها».

الكلمات كانت تقول للينا ان أفكاره كانت بالكاد معها، وأنها اذا تخيلت بأنه سيقبلها فهي مخطئة. ثم فيما تحرك

ليفتح لها الباب سبقته هي وفتحت الباب بنفسها ثم خرجت من السيارة. في الوقت الذي وصلت به الى الشرفة كانت السيارة قد انطلقت في طريقها نحو مارشلاندز.

لاحقاً وهي في سريرها شعرت بموجة عارمة من خيبة الأمل. لقد تطلعت بشوق الى الخروج معه هذا المساء. وأملت بأن يقبلها، ويحيطها بذراعيه، لكن شيئاً من هذا لم يحدث. عوضاً عن ذلك، ما بدا انه سيكون خطوة أولى بعلاقة جميلة انتهى بكارثة.

والأكثر ازعاجاً من هذا كان حقيقة ان انزعاجه كان مترافقاً مع عدم الثقة - وعدم الثقة هذه انبعثت من مجرد كلمة تلفظ بها جدها. بحق السماء، أية خطة يعتقد طومي انها تقوم بها؟ تساءلت لينا، وعقلها مشوش.

اليوم التالي بذلت لينا جهدها لابعاد أفكارها عن طومي ماروش. لم تضيع الوقت وهي تنظف الكوخ وحين خرج جدها بدأت بكتابة رسالة أخرى لرونزا، أصبحت تملك معلومات محددة أكثر حول الظروف التي يعيش فيها فيليب وكانت متشوقة لتسجيل التفاصيل وهي لا تزال حية في ذاكرتها.

كان من السهل جداً اخبار رونزا حول مايزي بيتس، والتي تعامل الصبي بحب ولطف، ولكن تعابيرها حول ساندرا ظلت غامضة وغير صريحة على كل حال، حين حاولت اخبارها عن طومي ماروش، تصلبت أصابعها فوق أحرف الآلة الكاتبة. وفيما وجهه الوسيم بعينيه الرماديتين تراءت في عقلها، لم تعد قادرة على ايجاد الكلمات التي قد تفضح اهتمامها به.

فوراً تحولت أفكارها الى أسئلة محيرة بلا أجوبة، ولم تنته الرسالة الا بحلول وقت الغداء. حالما فعلت هذا شعرت بالراحة وبما يشبه الحرية. وكأنها قد تخلصت من

حمل كان يرهق كتفيها وشعرت ان هناك شيء اضافي بإمكانها فعله لرونزا اضافة لأخذها صورة لفيليب وإرسالها لها.

لاحقاً، وحين كانت في طريقها نحو البلدة لإرسال الرسالة اعترفت لنفسها ان تعاطفها قد تغير وتحول. لم تعد مشاعرها كلها مع رونزا، بل قد تحولت كلياً الآن الى الصبي، ووجدت نفسها تنتقد صديقتها أكثر وأكثر.

بالرغم من مشاكلها الزوجية مع ماك، كيف تمكنت من ترك طفلها لرحمة الغرباء؟ كيف تمكنت من تناسي مسؤولياتها بهروبها بعيداً هكذا؟ لقد سمح لها برؤيته، اذن فلماذا لم تبق في نيوزيلندا حيث كان بإمكانها على الأقل ابقاء عينيها عليه؟.

كانت هذه الأفكار لا تزال تراود لينا وهي تسرع الى مركز البريد، وبسبب سرعتها لم تستطع رؤية طومي الا بعد ان اصطدمت به. قبضتيه على ذراعها منعتها من السقوط، ولأن الرسالة سقطت من بين يديها فانحنى ليلتقطها.

نظرة سريعة كانت كافية لقراءة اسم المرسل اليه:

«رسالة تقريرية وافية لصديقتك كما أرى» التعليق ترافق مع التواء متهكم لفمه.

نظرت الى الرسالة:

«بدا ان هناك الكثير لأخبرها عنه ـ لكني أظن انني قد خبأت معظمه».

«مثل...؟».

«مثل لطف مايزي بحياكة كنزات له، ومثل ذلك الحصان الرائع في غرفته، ومثل... العناية التي تحيطه له» أضافت متذكرة ما كتبته.

برقت عيناه:

«تقصدين انك قد ذكرتني حقاً في رسالتك؟».

«بالطبع».

«لكن فقط باعتنائي بالصبي».

لم تكن قادرة على النظر اليه، فخافت من ان تفضح عيناها اهتمامها المتزايد به:

«ولأي سبب آخر سأذكرك؟» سألت أخيراً.

«فعلاً ـ لأي سبب آخر تذكرينني؟» وقد ترافقت الكلمات بضحكة صغيرة ملونة بالسخرية.

«أتمانع في ان أرسل الرسالة قبل ان يقفل الصندوق؟» كلماتها حملت الأدب المبالغ به.

«افعلي هذا، ثم ستخبرينني بعدها المزيد حول علاقتك مع هذه المرأة التي تزوج ابن عمي منها».

«تقصد المرأة التي ضحت بعمل جيد في ويلنغتون مقابل حياة غير مرضية في مارشلاندز» ردت.

«اعفيني من النساء العاملات الموظفات» قال بنفاذ صبر.

«أنا واثقة انك ستكون بأمان».

تجاهل تعليقها متابعاً:

«قلت انها كانت تعمل في شركة نشر؟».

«نعم، لقد قابلتها مرة حين كنت أفكر ان أكتب قصصاً للأطفال...». توقفت منزعجة لكلماتها الأخيرة.

ضحك والتسلية واضحة في عينيه وقد قفز عقله الى استنتاج واضح:

«لا تقولي ـ دعيني أخمن. حاولت ولم يقبلوا بمحاولاتك».

نظرت بعيداً عنه متسلحة بالصمت. من الطبيعي له ان ينظر اليها كفاشلة، فكرت وهي تتحكم بانزعاجها بصعوبة.

تابع بنبرة ألطف:

«على الشخص ان يكون ملحاً ولجوجاً بهذه الأمور.

www.elromancia.com

عليه ان يحاول، ويحاول مجدداً. لا بد ان هناك الآلاف من المؤلفات القابعة في أسفل الجوارير - منسية ومتجاهلة، وقد لا ترى ضوء النهار يوماً».

«لربما الملايين منها» وافقته بحزن.

لاحظت التعاطف في صوته وهو يقول:

«لربما بإمكانك المحاولة مجدداً في يوم ما».

«نعم - لربما بإمكاني القيام بمجهودات اضافية» ثم شعرت بأنها تنافق وتكذب فأكملت بسرعة وأخبرته كيف اصطحبت رونزا مرة الى فروغ هول وعن العلاقة التي تطورت:

«تزوجت رونزا بسرعة - واستقرت في مارشلاندز».

«هل هذه حقيقة؟» وضحك قليلاً ثم نظر اليها بتفكير:

«لنفترض ان تخبريني المزيد ونحن نتناول كوباً من الشاي. المطعم يبعد فقط عدة خطوات من هنا».

بطبيعية ردت:

«لنذهب الى المنزل. انه دوري بتقديم الشاي لك».

ابتسم:

«فقط اذا كان هناك العديد من الحلوى بالمربى».

«محضرة بالضبط قبل الغداء» طمأنته:

«أراك في فروغ هول».

تركته وعادت الى سيارتها. خطواتها رشيقة ومعنوياتها مرتفعة لسبب لا ترغب بالاعتراف به، ولكن حين أدارت محرك السيارة تساءلت عن مدى حكمة هذه الدعوة.

وصلت ووضعت الابريق على النار وبلحظة دخول طومي الى المطبخ كان الشاي جاهزاً، وكذلك حلوى المربى. أيذكر كيف قبلها في هذه الغرفة؟ تساءلت. هل الذكرى هذه هي السبب في تقطيبه؟ مجاهدة لتبقي أفكارها هادية قالت:

«هناك منشفة نظيفة قرب المغسلة، اذا رغبت بغسل يديك».

«شكراً لك» واختفى باتجاه غرفة المرحاض. ولكن حين عاد كانت ملامحه باردة وعاد الى موضوعهما السابق:

«اذن، ماذا هناك أيضاً حول رونزا؟».

هزت كتفيها بحركة غامضة:

«القليل. على كل حال نبرتك تدل على انعدام التعاطف معها. أشك ان باستطاعتك رؤية الأمور بموضوعية أكثر».

«انت لا تعرفين شيئاً حول وجهات نظري» أشار بحدة.

تجاهلت التوبيخ وهي تتابع برقة:

«لم تعد النساء جاريات الرجال سيد ماروش. هناك ما يسمى حرية المرأة. الأنثى قد نالت حريتها و...».

«وأصبحت أكثر جموداً من الرجال» أكمل بسخرية.

كتمت انزعاجها:

«بالطبع صارت المرأة الآن رفيقاً أكثر امتاعاً وتسلية للرجل؟ ام تعتقد ان مواهبها يجب ان تبقى مدفونة في المطبخ وفي المنزل فيما هي تطبخ له وتغسل وتكوي وترضخ لمطالبه في...».

«في مضاجعتها» قاطعها بلطف:

«لا تنسي ان معظم النساء يستمتعن بمشاركة الفراش مع أزواجهن. هن يحببن الرضوخ لأعمق حاجات الرجل، لكن هذا شيء لا يزال عليك تعلمه».

احمر اللون على خديها بوصول معنى كلامه الى عقلها. ووجدت نفسها غير قادرة على النظر اليه، ثم كلماته الثانية أصابتها بالدهشة.

«أعترف ان ماك كان دائماً أنانياً ولا يفكر الا بنفسه» اعترف بتردد.

«فلتحفظني السماء من رجل كهذا» علقت بقوة.

«اذن عليك ان تنتبهي لخطواتك» نصحها بجدية:

«يجب ان تحاذري بأن تبقي نظرك على ابن مدينة، رجل سيشعر بالسعادة لرؤيتك تهرعين في الصباح الباكر على عملك، ولتقضي معظم النهار بوظيفة يمتص بها المدير دمك وحيويتك ثم لتعودي مساءاً الى المنزل وأنت مرهقة متعبة. أعتقد ان هذا ما تتصورينه لمستقبلك؟».

«لا، ليس هذا».

«لا؟ اذن فكيف تتصورين مستقبلك؟» سألها بابتسام.

«هذا ليس من شأنك» ردت منزعجة.

«انت بالتأكيد تنوين ان تتزوجي عاجلاً أم آجلاً؟».

«حقاً، لم يسبق لي وفكرت بهذا الموضوع».

«اذن أفلم يحن الوقت لتفعلي؟» ونظر مباشرة الى عينيها:

«لا بد انك في الثالثة والعشرين على الأقل».

«بالضبط، أربع وعشرون، كنت في السابعة عشر حين كنت وصيفة رونزا». أخبرته متذكرة الصورة التي رأتها عند طومي.

«هذا يجعلك أصغر مني بثماني سنوات» قال بمرح.

«اذن ألم يحن لك الوقت بالتفكير بالزواج؟ ام انك لم تجد الفتاة المناسبة الراغبة بـ... بأن تقف في الخط الطويل».

قطب:

«يبدو انك مصممة على التشاجر معي».

«ويبدو انك مصمماً على التدخل بأموري الخاصة. أذكر ان علاقتي برونزا هي كانت موضوع الحديث، وليس أنا نفسي، سيد ماروش».

بدا نفاذ الصبر على وجهه:

«انت تعرفين جيداً ان اسمي هو طومي ولهذا فأنا أحذرك انه في المرة القادمة التي تناديني سيد ماروش... فسأقبلك».

«في تلك الحالة سأنتبه الا أزعجك ثانية... طومي».

«اذن، هل هناك سبب قوي يمنعك من مناقشة مخططاتك المستقبلية».

«مخططاتي؟ آه، ها قد عدنا ثانية» قالت ورمته بنظرة سريعة. تابع بشكل عادي:

«معظم الفتيات في عمرك يملكن أفكاراً ويحلمن بالسفر والتنقل عبر البحار. الا تفكرين بهذا مطلقاً؟».

ضحكت:

«مخططاتي الوحيدة للسفر هي سفري الى ويلنغتون. مع انني لم أحدد الموعد بعد».

«جيد، اذن أنا أعتذر عن تطفلي» حدق بها بصمت حتى قال:

«يجب ان أعترف انني كنت خائفاً من ان يكون لك مخططات... سفر أخرى».

قفز السؤال الى عينيها:

«حقاً؟ مثل ماذا؟».

«حسن، سفر يتعلق بالمخططات التي ذكرها بول، والتي كنت متسترة جداً حيالها» ترك الطاولة ليقطع الغرفة بتوتر، ثم توقف قرب الباب الخلفي محدقاً بالمياه. قالت:

«أخشى ان مخيلتك تأخذك بعيداً - مع انني أشعر ان شيئاً ما يزعجك لم لا تقوله بصراحة؟».

استدار ليواجهها:

«حسن، سأكون صريحاً معك. أيمكنك ان تخبريني لماذا أشعر انّ اهتمامك بالصبي يتعدى ما هو ظاهر. أقصد أمراً يفوق مجرد ارسال تقرير حوله لوالدته» أضاف وهو يعود

www.elromancia.com

الى الطاولة.

«لربما السبب ان لك عقلاً مشككاً. لقد لاحظت هذا من قبل. مثلاً، كانت هناك شكوكك حول علاقتي بمالك - وشكوكك بأنني كنت السبب في فشل زواجهما».

«هذه الأفكار لم تعد تقلقني الآن» أعلمها بأدب.

«اذن فقد تحولت الآن الى الشك بأن لي دافعاً مستتراً بتقربي من الصبي؟ أيتضمن هذا الدافع مخططاً للسفر؟» سألته وقد خطرت فكرة في رأسها.

«هذا ممكن» اعترف وهو يحدق بها بغموض.

أخذت نفساً عميقاً لأن جرحها الداخلي بدأ يظهر على السطح، ثم قالت بهدوء:

«حقاً - لم يكن عندي أي فكرة ان قلة ثقتك بي تصل الى هذا الحد. ما الذي تتصور انني أخطط له؟ خطة لخطف الصبي؟» سألت بنبرة غير مصدقة.

«لن تكون الوالدة المنفصلة الوحيدة لتفعل هذا» قال وعيناه تراقبانها:

«أمن الممكن انها قد التجأت اليك لتأخذي اليها الصبي؟».

شهقت لينا بغضب ثم انفجرت:

«أتصدق حقاً انني قد أكون غبية كفاية لأقوم بهكذا محاولة؟ حتى ولو طلبت مني ذلك الطلب، انه عمل لا أستطيع القيام به. فأولاً هناك أمر جواز سفره».

«نعم - بالطبع» قال والارتياح يتضح من كلماته:

«حقاً، أنا لم أفكر بهذا».

تلون صوتها بغضب اضافي:

«يبدو لي ان قلة ثقتك بي يعززها رأيك الخاص بمستوى ذكائي، مما يعني - سيد ماروش - انك ولا شك تعتبرني حمقاء تماماً وغبية».

بريق التمع داخل عينيه. وضع كوبه على الطاولة، ترك مقعده ثم اقترب منها.

شعرت بنواياه وتمسكت بكرسيها وهي تهدد:

«لا تتجرأ وتلمسني... لا تتجرأ وتحاول ان...».

«لقد حذرتك حول اسم سيد ماروش - وقد سعيت انت لهذا».

«سأصرخ، أحذرك، سأصرخ...».

«افعلي هذا. وسيعتقد بول العجوز انك تتعلمين على النباح. او قد يعتقد انه انذار الحريق وسينضم للمنقذين».

اشتدت قبضتها على الكرسي، لكن بالرغم من محاولاتها للإبتعاد عنه، أجبرها على النهوض وبالرغم من انها حاولت ابداء السخط والغضب. الا ان مقاومتها هبطت بسرعة لحظة وصول شفتيه الى فمها.

- ٢ -

لم تكن قادرة كذلك على تجاهل تسارع نبضات قلبها وأنفاسها التي تلاحقت وقبلته تتعمق وبالرغم من محاولتها لعدم التجاوب الا ان ذراعيها أخذتا تزحفان حول رقبته. أدركت أيضاً انه شعر بتأثرها وتأكدت حين قطع قبلته وأخذ ينظر الى وجهها الأحمر الحار.

«لقد أحببت هذا» أغاظها بنبرة رقيقة ضاحكة:

«لا تمتدح نفسك» شهقت بإنكار:

«اذا أردت المزيد فلن يكون هذا منك».

ضحك:

«أتحاولين التلميح ان المزيد سيكون من شخص ما تركته في ويلنغتون؟ لا تحاولي ان تكذبي علي لأنني لا أصدقك».

حدقت به ببرود:

«ولم لا يكون هناك شخص ما في ويلنغتون؟ أعرف العديد من الرجال في تلك المدينة».

«بالطبع تعرفين» قال:

«لكني أشك انك قد تركت شخصاً مميزاً ما هناك لفترة غير محددة تقضينها في فروغ هول هنا. وهناك شيء آخر...».

«آه؟ وماذا يكون ذلك سيد عارف - كل شيء؟».

«لو ان حبيباً ما في ويلنغتون كان يملأ عقلك لما كنت رددت لي قبلتي».

«هذه كذبة، أنا لم أرد لك قبلتك».

«لا؟ أتحاولين اقناعي - او اقناع نفسك؟ انا متأكد ان شفتيك قد انشقتا في اللحظة التي أدركت انك أثرتني بها».

حدقت به فقط دون نطق، مدركة للإنجذاب الحسي الذي شعرته نحوه وتلهفها للتجاوب معه. تابع:

«انت بالتأكيد كنت مدركة تماماً انك كنت تجعلين دمي يندفع بقوة حتى رأسي - وانك كنت تفعلين أكثر من هذا لي. أتنكرين؟».

«أنا - أنا لا أعرف ما تعنيه» همست بوهن وخبأت وجهها عنه.

«هيا الآن - انت ناضجة تماماً لتكوني ساذجة. انت بالغة ومستعدة لتقبل الحب. في الواقع انت تتلهفين لذلك - وأنا متأكد ان نارك تغلي تحت السطح».

أحنى رأسه والتقط فمها مجدداً. هذه المرة لم تقاوم لينا وأحاطت رقبته بذراعيها ودفنت أصابعها في شعره. لحظات توقفت الدنيا بها عن الدوران، لكن عقلها قام بمحاولته الأخيرة فتصلبت أصابعها ودفعته قليلاً عنها قائلة بنفس

متقطع:

«أرجوك... لا... لا... أعتقد انه حان وقت عودتك الى المنزل».

«حقاً تريدينني ان أرحل؟» تمتم وذراعيه لا تزالان حولها وفمه يهمس بالكلمات قرب أذنها هبوطاً نحو حنجرتها.

«نعم... يجب ان تذهب. لقد حان وقت... تحضيري للعشاء» قالت بسرعة.

«لربما انت على حق - وإلا فإن الأمور ستفلت من أيدينا. العجوز سينفجر من الحنق اذا عاد ليجد طباخته في السرير مع جاره، ولا عشاء جاهز».

ضحكة مهتزة هربت من فمها، لكنها قطعت فور سماعها لصوت خلفهما:

«عمي طومي - هل لينا صديقتك الخاصة؟».

تجمدا، ثم استدارا ليجدا فيليب واقفاً على باب المطبخ المفتوح. تصلبت ملامح طومي:

«ما الذي تفعله هنا؟ من المفترض ان تكون في المنزل».

رفع نظره اليه وشمس الأصيل تلتمع داخل عينيه العسليتين:

«لقد أتيت حتى أرى لينا. أتيت لأريها ضفدعي. انظري - عندي ضفدع».

حاولت لينا تخفيف ضغط الموقف وحدقت بتركيز بالعينين السوداوين المرتفعتين اليها وقالت بابتسام:

«أعتقد انه فريدي».

«أتعرفين هذا الضفدع؟» استفسر فيليب بصوت غير مصدق مذهول.

«لا أستطيع القول أننا أصدقاء» اعترفت ثم أضافت بابتسام:

«لعله لا يزال يفتش عن الذيل الذي كان يملكه حين كان صغيراً».

«من المؤسف جداً خسارة ذيل جيد» تدخل طومي:

«من الأفضل ان ندعه يتابع تفتيشه».

قالت لينا دون تفكير:

«يوماً ما سأخبرك قصة عن فريدي الضفدع الذي أخذ دروساً في الغناء، لكن الآن من الأفضل ان تغسل يديك لتتناول...».

لكن فيليب كان قد رأى حلوى المربى، فأفلت الضفدع وكان في طريقه الى المغسلة.

خلال غيابه رمى طومي لينا بابتسامة معارضة:

«حلوى بالمربى، قصص - كيف سأتمكن من اقناعه بالانصياع لأوامري فيما انت تقدمين له كل هذه الاغراءات؟».

«فقط بأن تجد اغراءاتك الخاصة» اقترحت.

«وماذا تكون تلك، هل لي ان أسأل؟ انه يُعطى كل ما يرغب به في المنزل، وأنا واثق ان مايزي وساندرا لطيفتان معه».

«آه، أنا أثق انك تستطيع الاعتماد على مايزي» قالت متذكرة وجه المدبرة اللطيف المحب.

«ولكن ليس بساندرا؟» سألها بحدة.

«أنا واثقة ان ساندرا تبذل جهدها وفقاً لأرائها الخاصة» قالت بعد لحظات تفكير قليلة.

عاد الصبي وسمع الجملة الأخيرة:

«ساندرا تقول انها لا تحبك» قال مخبراً لينا:

«وقد أخبرت عمي طومي انك صعدت لتنظري بفضول الى غرفتي».

ارتفعت حواجب لينا فيما عيناها المنزعجتان تنظران الى

www.elromancia.com

طومي:

«هل قالت لك هذا حقاً؟ آمل انك لم تصدقها».

هز كتفيه:

«أتتخيلين انني أكترث ولو للحظة لها؟».

«وكيف لي ان أعلم؟ من الممكن انك تصدق كل كلمة تقولها».

«لا شك انك تعتقدين انني غبي. لقد أكدت مايزي لي ان فيليب هو الذي طلب منك الصعود لرؤية غرفته وكتبه».

أكمل فيليب:

«وقد أريت لينا كيف بإمكاني امتطاء الحصان. عمي طومي، متى سأحصل على مهر حقيقي؟».

«هذا الأمر يقرره والدك، أيها الصديق الصغير».

«أتعتقد انه سيعود ويشتري مهراً لي؟» نظر فيليب الى طومي بترقب.

«بالتأكيد سيعود» طمأنه عمه:

«انه فقط يأخذ عطلة قصيرة».

عينا الطفل ظلتا تحملان الأسئلة:

«ساندرا تقول انه لن يعود اذا لم اكل كل الخضار من صحني. وتقول انه مثل أمي سيظل بعيداً الى الأبد».

«سأتحدث مع ساندرا حين أعود» وعده طومي بصرامة:

«والآن، ستشكر لينا على ضيافتها، وستعود فوراً الى المنزل - عبر الطريق المتعرج».

«مثل الحصان الحقيقي» قال الصبي بمرح. مسح فمه بطرف يده ثم أحاط ذراعيه حول لينا:

«شكراً لك على حلوى المربى اللذيذة».

التعبير البريء هذا أثر بها كثيراً، فحضنته مودعة وطبعت قبلة رقيقة على جبينه. بعد لحظات راقبته وهو يركض نحو الطريق المتعرج. ثم التفتت نحو طومي متسائلة:

«أتعتقد انه كبير كفاية ليمتلك مهره الخاص؟».

«بالتأكيد هو كبير كفاية. في مثل عمره كنت مشتركاً بنادي فروسية للأطفال».

ابتسامة عبرت وجهه وبريق انتصار لاح داخل عينيه وهو يتابع:

«أعتقد ان هذا هو الجواب».

«جواب أي سؤال».

«سؤال الاغراءات. مهر خاص به سيحل مشكلة التنافس مع الاغراءات في فروغ هول. مهر خاص سيجعله ينزل من باص المدرسة بسرعة مضاعفة راكضاً نحو المنزل، وهذا سيكون مصدر ارتياح لنا جميعاً».

«نعم، في الواقع، ارتياح كبير...».

«بالتأكيد سيحتاج الى مراقبة وهنا يأتي دور ساندرا. فهي تجيد ركوب الخيل».

«أترافقك بنزهات ركوب الخيل؟» سألته بطبيعية.

«لا، لكن بعض الأحيان كانت تترافق مع غاري. وحصانها موجود في اسطبلنا» توقف، وسألها:

«أتجيدين ركوب الخيل لينا؟».

«لا، أنا أخاف من ذلك. فتاة مدينة، كما ترى».

«آه، نعم... كدت ان أنسى هذه الحقيقة المهمة» شيء ما يشبه التنهيدة صدر عنه وهو يتابع:

«سأبدأ البحث عن مهر مناسب لمبتدأ، ليس من السهل ايجاد هكذا مهر» ظهرت معظم أسنانه وهو يرميها بابتسامة:

«هل انت مستعدة لتقبل الهزيمة؟».

نظرت اليه بحيرة:

«الهزيمة؟ ما الذي تتحدث عنه؟».

«أقول انه من الأفضل ان تستعدي لمعرفة ان مهراً صغيراً سيغطي على كل الاغراءات التي ستقدمها فروغ

هول، حتى ولو كانت حلوى مربى ومعانقات محبة منك».

انت حقاً تبالغ» أعلمته:

أرجوك صدق انني سأكون أكثر سعادة ورضى حين أرى فيليب سعيداً وقانعاً. . . اينما كان مكانه»

«أمن الممكن انك تقصدين مكانه مع والدته؟».

السؤال أذهلها:

«أنا لم أقل هذا، لكن اذا أردت رأيي الصريح فأنا أعتقد ان والدته ستعطيه الحب بشكل أفضل».

«رأيك الصريح» ردد:

«هل انت دائماً صريحة وصادقة، لينا؟».

«عندك شكوكك حول هذا؟» استفسرت ببرود.

تحرك ليقف أمامها ونظرته تفتش وجهها وهو يمسكه بين يديه:

«أخبريني بصدق. . . هل كان تجاوبك مع قبلاتي صادقاً تماماً».

«بصدق قبلاتك» ردت عليه بوضوح مع ان شعورها بيديه على وجهها كان يسبب لها الارتعاش الداخلي.

ظلا دون حركة لمدة لحظات قبل ان يخفض وجهه ويلامس بشفتيه جبينها، وجنتها وأخيراً الغمازة بجانب فمها. ثم تركها واقفة يذهول فيما اتجه هو الى الشرفة الأمامية.

سمعت صوت محرك سيارته يدور ثم يبتعد، وحتى بعد ان اختفى الصوت كلياً، ظلت واقفة بلا حراك مكانها محدقة بالفضاء حتى لامست أصابعها وجهها بلطف وفيما أدركت ان عليها التخفيف من حرارة وجهها بمنشفة رطبة باردة قبل وصول جدها، الا انها كانت مترددة بمسح أثار مداعبة طومي لها. ثم هزت نفسها عقلياً:

«توقفي عن هذا أيتها البلهاء» تمتمت لانعكاس صورتها

وهي في غرفة المرحاض:

«انت تتصرفين كالمراهقة البلهاء، هذه القبلات لا تعني شيئاً له ، ولذا لا تسمحي لها باختراق قلبك والانسياب الى حياتك. لا تسمحي لها بأن تصبح كالمخدر الذي يجعلك تصرخين مطالبة بالمزيد ـ والمزيد».

وبصوت النصيحة هذه في رأسها بدأت تحضر طعام العشاء.

لم تشاهد لينا طومي خلال الاسبوع التالي، وهذا طمأنت نفسها كان مبرراً للإرتياح. حقاً؟ ارتياح، كان ليكون قوياً أكثر لو انها استطاعت ابعاد صورته عن خيالها ـ ولو انها كانت قادرة على نسيان قبلاته تلك في المطبخ.

لكن بالرغم من محاولاتها لفعل ذلك ظلت ترى وجهه بملامحه الوسيمة وتعابيره الملوحة. وكان عليها فقط اغماض عينيها لتتذكر دفء عناقه لها. عبير رجولته كان يلتف حولها، ووجدت نفسها باشتياق لسماع خطواته على الشرفة الأمامية، او لسماع دقته على الباب الخلفي.

في الواقع لقد كان وجوده قوياً جداً في أفكارها لدرجة انها كانت تتخيل دائماً انها ستلتفت لتجده أمامها، لكن لحسن الحظ هذا لم يحدث، وإلا لكانت أظهرت له العذاب داخلها وكذلك عمق لهفتها لرؤيته.

بنفس الوقت حاولت بجهد تركيز أفكارها على عملها الخاص، لكن مع انها كانت تقضي الساعات قرب الآلة الكاتبة، القصص كانت تتحسن ببطء وذاكرتها تعود دائماً الى شعورها وذراعيه حولها وضغط شفتيه على شفتيها.

وكذلك لم تشاهد فيليب. يوماً بعد يوم كانت تسمع صوت باص المدرسة يمر بجانب فروغ هول دون ان يتوقف، وبنهاية الاسبوع كانت تصارع شعور بالخواء والفراغ.

أخيراً لاحظت ان جدها كان يراقبها بطريقة هادئة، ولهذا لم تتفاجأ حين سألها ما كانت تتوقعه. قال:

«هل تشعرين بالملل من هذا المكان؟».

ذهلت لسؤاله المباشر:

«لا، بالطبع لا جدي. ما الذي جعلك تفكر بهكذا فكرة؟».

حدقت عيناه بها بقوة:

«انا فقط أتساءل. كنت صامتة جداً لأكثر من أسبوع. هل هناك خطب ما؟».

نظرت اليه مباشرة:

«لا، ما قد يكون هناك؟».

«الصبي الصغير لم يحضر الى هنا منذ فترة» لاحظ.

«حقاً؟ أنا حقاً لم أنتبه لهذا». ردت بعدم اكتراث. كانت هذه كذبة وعرفت هي ذلك.

«لربما أفكارك أكثر مع الصبي الكبير» علق جدها بنبرة غامضة.

ضحكت مبعدة اقتراحه:

«هذا حقاً... حقاً آمر تافه. انت الصبي الكبير الوحيد الذي أهتم له، جدي».

تجاهل كلماتها بسؤالها:

«هل تشاجرت معه؟».

تحاشت عينيه، ثم سيطرت على تنهيدة عميقة كانت على وشك الصدور عنها:

«لربما عليك ان تعلم انني لست الشخص المفضل لديه. انه يلومني على زيارة فيليب لهذا المكان. هو يعتقد انني أشجع الولد على عدم الطاعة وهو... هو حتى...» خانتها الكلمات وهي تتذكر شكوك طومي.

«نعم؟ هو حتى ماذا؟» سألها وهو يراقبها بدقة.

«هو حتى يخشى ان أكون مخططة لأخذ الصبي الى رونزا» اعترفت وهي تحاول التغاضي عن الألم الذي تسببه قلة ثقته هذه.

«أتمنى الا تكوني غبية بهذا القدر لتفكري بأمر كهذا» قال جدها محاولاً اخفاء انزعاجه:

«هناك جواز السفر وإجراءات رسمية أخرى يجب التفكير بها».

«لا تقلق جدي - لم يخطر ببالي فكرة كهذه، أنا لست خبيثة ومحتالة، بالرغم من رأي طومي بي. وأيضاً، ألن أعلق بمشاكل مع القانون؟».

مشاكل كثيرة أؤكد لك» توقف ثم نظر اليها بتحديق:

«اذن، بدون الصبي ليشغل وقتك، كم أنجزت من عملك في القصص هذا الاسبوع؟».

«ليس الكثير» قالت بصرامة:

«أفكاري دائماً مشوشة. أحتاج لبعض الدروس في السيطرة على العقل».

«تعنين انك بحاجة لشيء يبعد الصبي الكبير عن أفكارك» اقترح بجفاف:

«لا تستطيعين خداعي، يا ابنتي الصغيرة».

هزت رأسها وخرجت الى البحيرة علها تستوحي بعض الأفكار.

بعد ساعة عادت الى المنزل وجلست خلف الآلة الكاتبة في غرفتها وأخذت تنقل أفكارها على الورق.

انشغالها بالعمل جعلها لا تسمع صوت طومي وهو يدخل المنزل بعد ان دق على الباب الرئيسي ولم تدرك انه وصل الا حين دق بنعومة على زجاج النافذة أمامها وهو يحدق بها عبر الزجاج.

رؤيتها له جعلت قلبها يقفز من بين ضلوعها، وفيما

ذهبت لتفتح له الباب احمرت وجنتاها من الغبطة.

حدقا ببعضهما البعض للحظات صامتة طويلة قطعتها هي أخيراً بقولها:

«انها مفاجأة».

سارة، أم بالعكس؟» سألها وعيناه على وجهها.

«هذا سيعتمد على سبب زيارتك» ردت محاولة بجهد التحكم بالإثارة داخلها:

«اذا كنت تبحث عن فيليب فأنت لن تجده هنا».

«أعرف أين أجد فيليب» أعلمها:

«لقد أخذته ساندرا الى المدينة في الواقع لقد جئت لأراك».

«أنا؟» وتسارع تنفسها ونظرت اليه بتساؤل متمنية الا يعكس وجهها مدى السعادة التي تشعر بها لرؤيته.

«نعم. ألن تسأليني لماذا؟ أم انك مشغولة بكتابة الرسائل؟ أستطيع التخمين لمن هي مرسلة».

ودخل غرفة الجلوس وقال:

«غداً سأذهب الى الساحل لأبحث عن مهر مناسب لفيليب. أترغبين بالمجيء معي؟».

ظلت هادئة وهي تتجاهل موجة الفرح التي اجتاحتها:

«هذا سيكون من دواعي سروري» قالت بالصوت العادي الذي استطاعته.

«ألن تكوني مشغولة جداً؟ حين نظرت من النافذة بدوت غارقة في أفكارك. لدرجة انك لم تسمعي صوت طرقي على الباب. لم يكن من خيار أمامي سوى الطرق على النافذة وأنت بالداخل، غارقة بين الأوراق وتطبعين على الآلة الكاتبة وكأن حياتك متعلقة بما تكتبين».

«انه مشروع صغير خاص بي» اعترفت.

«انت تحاولين كتابة القصص مجدداً؟».

أعتقد انك تستطيع ان تقول ذلك» اعترفت بتردد.

بدا عليه الاستمتاع:

«أتسمحين لي برؤيتها؟».

«بالطبع لا» قالت بسرعة.

«لا بأس، لكن يجب ان تكوني محظوظة هذه المرة» ثم غير الموضوع بقوله:

«سأصطحبك غداً بعد الغداء».

«شكراً لك. سأكون جاهزة وبالانتظار». وعدته فخرج مطمئناً.

في اليوم التالي استقلا السيارة في طريقهما الى وجهتهما وكانت لينا تشعر بالسعادة والسكينة. ورائحة معجون الحلاقة كانت تدل ان طومي قد اعتنى بنفسه بدوره قبل المجيء. المحادثة بينهما كانت قليلة ولكن مريحة والحقول الخضراء تمتد حولهما والقطعان تسرح فيها بسلام واطمئنان.

وصلا بسرعة، كما شعرت لينا، الى المكان المقصود وأشار طومي الى مهر صغير يرعى لوحده بجانبهما:

«هاك هو، بانتظار مالكه الجديد».

سألته لينا:

«هل فيليب سيكون مبتهجاً. هل أخبرته؟».

«بالطبع لا. يجب ان أتأكد أولاً ان المهر مناسب قبل السماح له بأن يشعر بالغبطة الفائقة. المهور الهادئة يصعب ايجادها».

حين وصلا المنزل خرج بيل جوردن لملاقاة طومي. كان يحمل صندوقاً يحتوي على بعض ثمار الجوز، ثم بعد ان حياهما تابع طريقه الى السياج حيث ثبت الصندوق ثم نادى المهر.

راقبت لينا باستمتاع طومي وهو يتفحص المهر، ناظراً

الى أسنانه ومحركاً اياه خطوات الى الأمام والوراء. تفحص أقدامه كذلك، وأخيراً بدا مكتفياً وراضياً. كم سيدفع ثمناً لـه؟ تساءلت، ثم خمنت ان السعر ولا شك سيكون عدة مئات من الدولارات. لكنه كان مستعداً لدفع أي مبلغ لإسعاد فيليب. بعد لحظات كتب شيكاً وناوله لبيل جوردن وفيما هما في طريق العودة أخبرها:

«بيل سيوصل تافي غداً بمقصورته للخيول».

في طريق العودة، لاحظت انه لا يسلك الطريق الصحيح، فاستدارت نحوه وسألته بدهشة:

«الى أين نحن ذاهبان؟ أليس المنزل في الجهة المقابلة؟».

«ظننتك لن تنتبهي مطلقاً» قال بابتسام:

«هل انت متحرقة للعودة الى المنزل، لتتابعي مشروعك الهام؟».

«لا، ليس فعلاً» قالت وتساءلت ما الذي يدور بذهنه؟ الجواب أتى وكأنه يقرأ أفكارها.

«شعرت برغبة جامحة بالقيادة على الساحل. لم أمشي على الرمال منذ عودتي الى مارشلاندز، واليوم يبدو ملائماً».

«ولماذا هو كذلك؟» سألت بعناية.

فكر للحظات قبل ان يقول:

«لربما شراء المهر قد جعلني أشعر بالخفة والمرح».

«لربما هذا سبب كافي كغيره لإشعارك بالسعادة» قالت مدركة ان شعوره هذا لا علاقة له بخروجهما معاً ـ والله يعلم ما الذي أوحى لها بهذه الفكرة: على كل حال كان الشاطىء الرملي يبعد حوالي خمسة وعشرون ميلاً عن وايباوا اذن فمشوار الخروج كان أكثر من مجرد انتقاء المهر لفيليب، معرفتها هذه جعلتها تبتسم قليلاً وقد ارتفعت

معنوياتها.

لم يفت هذا عن انتباهه فقال:

«هل من الممكن انك انت أيضاً تشعرين بالخفة والمرح؟».

«الخفة العقلية ستكون كلمة مناسبة أكثر» اعترفت:

«هذه بهجة غير متوقعة».

«كل شيء يبدو مسالماً ورائعاً» قالت لينا بإعجاب وهي تتأمل المناظر الطبيعية رفع حاجبه بسرعة:

«اختلاف تام عن بيتك في المدينة، حيث هناك البيوت المحتشدة في كل مكان. أشك ان هذا السلام والهدوء سيناسبانك لفترة طويلة».

«ما الذي يجعلك تقول هذا؟».

«حقيقة كونك صديقة رونزا. المثل القديم يبرهن انه صحيح. ستشعرين بالملل من الهدوء».

فروغ هول، مسالمة، وأنا لا أشعر بالملل مطلقاً».

ضحك:

«امنحي نفسك بعض الوقت وستملين الهدوء والسلام. في هذا الوقت انه مجرد أمر يختلف عن منزلك ونشاطاته. على كل حال، فروغ هول قريبة من البلدة، لكن كيف ستشعرين باستقرارك هنا في البراري البعيدة؟».

هذا سيعتمد على الرجل الذي أستقر معه» قالت له ببراءة:

«أخبرني طومي ـ هل كل الرجال متشابهون، أم ان بعضهم يخفي تسلطه الرجولي ببراعة أكثر من الآخرين؟».

«أتقترحين انه لا يوجد زيجات سعيدة؟».

«شخصياً أعتقد انه من المهم للأشخاص المناسبين ان يلتقوا ببعضهما البعض».

ألم يلتقي بالمرأة المناسبة؟ تساءلت وهي تنظر الى يديه

قويتين الممسكتين بالمقود. ثم تغيرت أفكارها فوراً بعد مرورهما بجانب آخر تلة وظهور البحر الشاسع أمامهما بشاطئه الرملي الذهبي الرائع ومياهه الزرقاء المتماوجة.

أوقف السيارة على قارعة الطريق ثم انحنى ليفك رباط حذائه.

«ماذا تفعل؟» سألته بدهشة.

«لنذهب ونمشي على الرمل».

حذت حذوه وخلعت حذاءها والكلسات القصيرة ثم شعرت بالحرية المطلقة وهي تدوس على الرمال الدافئة بقدمين عاريتين.

سارا بجانب بعضهما وحين انزلقت قدم لينا على الصخور، كادت ان تقع لولا ان يده أمسكت بذراعها فوراً ومنعها من السقوط. ثم تحركت يده لتمسك بيدها، ولمسته ترسل الشرارات عبر شرايينها. نظرت اليه بسرعة متساءلة ان كان تأثير امساكه بيدها كتأثير لمسته لها، لكن ملامحه العادية لم تعطي اية اشارة عما تتساءل عنه. ولا حاول هو ان يمسك بيدها ثانية حين سحبتها منه بلطف.

بل حدق بالبحر وقال:

«اذا سبحت بمسافة كافية وبخط مستقيم فستصلين الى شاطىء شيلبان الجنوبي».

«وستكون مرتجفاً جداً من البرودة» علقت بمرح.

«لا تدعني أمنعك اذا أردت ان تفعل ذلك. لكن انتبه من أسماك القرش. وسآخذ أنا سيارتك الرائعة وأعود بها الى المنزل».

«أتعتقدين ان بإمكانك قيادتها؟».

«سأحاول جهدي الا اصطدم بشيء».

«سأدعك تجلسين وراء المقود في مناسبة ما».

شهقت وهي تنظر اليه، غير قادرة على تصديق ما

سمعته.

«ستدعني حقاً أقود سيارتك ـ سيارتك الثمينة؟».

«ولم لا؟ وما هو الثمين بها؟».

رده تركها بلا كلام، لكنها شعرت بشك مضطرد. هل كان هذا خيالها يهيئ لها انه يتعمد اللطف معها؟ انها متأكدة انه ليس كذلك ـ اذن ما الذي يدور بخلده؟ أيحاول كسب ثقتها؟ ألهذا السبب دعاها لمرافقته من الأصل؟ السؤال تردد في عقلها جاعلاً اياها تشعر بالحذر. لكن ضد ماذا؟.

ثم قطعت أفكارها وهي تستمع له وهو يحدثها عن مغامراته وهو صغير على هذا الشاطىء.

لم تلاحظ انهما قد تركا الشاطىء الصخري وأن الرمال الآن صارت تسهل المشي أكثر وحين التفتت فقط أدركت طول المسافة التي قطعاها.

«الى أي مسافة تنوي ان تتابع المسير؟» سألته بخفة مصطنعة.

«ليس أبعد من هذا، لأن المد في طريقه الى هنا» وقف مكانه محدقاً بالشاطىء ثم تابع:

«سنأخذ استراحة قصيرة على الرمال الجافة قرب هذه الصخور، ثم سنعود الى المنزل».

أمسك يدها مجدداً وقادها الى مكان رملي. حيث الصخور كانت تحميهم من العيون.

لسبب غير معروف، أخذت تشعر بالتوتر، بانتظار شيء لا تعرفه. على كل حال، لحظات وأدركت ان لا أساس لمخاوفها لأن شيئاً لم يحدث. استلقى طومي على الرمال ويداه تحت رأسه فيما هو يحدق بالسماء.

«صحة ماكس العجوز تتحسن كما يبدو» علق أخيراً:

«الى متى ستبقين معه؟».

فكرت لعدة لحظات قبل ان تقول:

«لم أقرر بعد» اعترفت أخيراً.

ألن ترغمك مخططاتك الخاصة على الرحيل؟» سألها.

ذكر كلمة مخططات كان له مفعول الصدمة عليها. لكنها ابتسمت له قائلة:

«لست في عجلة من أمري لأرحل سريعاً عن جدي».

لماذا أشعر بأن هناك شيء لا تخبريني اياه؟» سألها مديراً رأسه نحوها.

«لربما لأن عقلك ممتاز ببناء الشكوك. أتمانع في ان أقول لك انك لم تقل الكثير عن نفسك؟ انتْ تعرف عني أكثر مما أعرفه أنا عنك». أضافت محولة الموضوع عن نفسها.

«أيهمك ان تعرفي المزيد عني؟».

بالطبع» قالت آملة الا تظهر لهفتها القوية.

اقترب لعدة انشات منها:

«حسناً، حين تركت المدرسة عدت الى المنزل أملاً بالعمل في مارشلاندز، لكن كان لوالدي أفكاراً أخرى. قال ان الرجل الذي يعرف فقط أمور ممتلكاته يكون عقله ضيق المدارك، ولهذا فقد أرسلني بعيداً لأكتسب الخبرة من ممتلكات أخرى - لكنك تعرفين هذا مسبقاً».

شيء أقوى منها جعلها تسأل:

«لا بد انه كان هناك ابنة جذابة في واحدة على الأقل من تلك الممتلكات. فتاة تتقن ركوب الخيل، وتختلف عن نموذج المدينة».

انت تحتالين» قال بإغاظة:

«انت متلهفة لتعرفي ان كنت قد وقعت بالحب أم لا».

متلهفة؟ بالطبع لا. ولماذا أكون متلهفة؟» قالت وهي تشعر بالغضب من نفسها لتفوهها بهذا السؤال السابق.

«في الواقع، لماذا تهتمين؟» قال بنعومة:

«على كل حال. أستطيع التأكيد لك ان الزواج كان آخر شيء في بالي لأنني - مثلك - عندي مخططات للسفر والتنقل».

كلماته أذهلتها:

«مثلي ومن قال ان عندي مخططات للسفر والتنقل؟».

«لربما قد فكرت بهذا الأمر أكثر مما تتوقعين» قال وعيونه مركزة عليها. ضحكت باهتزاز:

«لا أستطيع ان أفهم لماذا أي مخطط للسفر خاص بي يثير اهتمامك...» ماتت الكلمات على شفتيها وقد خطر ببالها فجأة فكرة جعلت فمها يتراخى. بالطبع - مخططات للسفر لتأخذ فيليب معها الى والدته. تهاوت معنوياتها حتى الصفر وهي تدرك مدى عدم ثقته بها. من المؤكد ان كلمة مخطط التي قالها جدها قد توسعت في مفهومه.

أخذت عدة أنفاس متلاحقة لتكبت الغضب الذي بدأ يسيطر عليها، مصممة الا تنهي الأمسية بشجار يفسد ما تبقى من النهار. فهذا شيء لا ترغب به، ولهذا فقد عادت مجدداً الى الموضوع السابق.

مرح مصطنع لون كلماتها وهي تقول:

«أخبرني المزيد حول سنوات صباك الأولى».

نظر اليها لعدة لحظات لأنه بدوره يعتقد ربما ان تغيير الموضوع أمر أكثر حكمة.

توتر لبنا زال وهي تستمع له وهو يسرد مغامرات حدثت له سابقاً. وشعرت بقوة ان كلام جدها حوله أكثر من صحيح. انه رجل يمكن الاعتماد عليه، وثم وبسبب شعورها المتزايد بالاسترخاء وجدت نفسها تبوح له ببعض الأحداث التي حصلت لها مع أصدقائها.

محدقاً بها سأل:

«بدون شك هناك واحد من شبان المدينة كان...

حبيبك؟».

حدقت به وعيناها الخضراوان تقدمان بالحنق:

«عندك جرأة لتتفوه بمثل هذا الكلام. لم يكن عندي يوماً حبيباً ـ بالمعنى الحقيقي للكلمة او بما تقصده انت».

قطب ثم سألها بحدة:

«بما أقصده؟ وماذا يعني ذلك؟».

«انت تقصد . . . رفيق . . . رفيق لليلة واحدة ـ الشيء الذي هو جُلُّ ما تستطيع تقديمه» ردت عليه بغضب، ثم أدركت فوراً خطأ ما قالته وموجة احمرار اندفعت الى وجهها.

«لم يكن عندي أية فكرة ان رأيك بي يصل الى هذه الدرجة» قال:

«تجعلينني أبدو كالقط الذي يُضرب به المثل».

«اذن اسمع هذا ـ أنا لست حبيبة أحد» قالت بقوة.

تغير سلوكه قليلاً:

«هذا الأمر يسعدني» قال بصوت هامس وأحاط جسدها بذراعيه وضمها اليه.

تصرفه كان غير متوقع ولم تستطع الا ان تحدق به وعيناها مشدوهتان من المفاجأة وحواسها تحذرها مما سيحدث.

انحنى وحدق بوجهها:

«استرخي» نصحها:

«تخلصي من هذا التوتر».

ردت نظرته دون التفوه بكلمة متوقعة انه سيقبلها لكنها لا تعرف ما الذي ستفعله.

خمن أفكارها وقال:

«حسناً، هل قررت؟».

قررت بماذا؟».

«ستقاومين وتنهضين على قدميك وتركضين طلباً للنجدة، أم انك ستتلقين القبلات كالفتاة العاقلة. أيهما اخترت».

ظلت تحدق بوجهه وهي تقلب السؤال في عقلها:

«شيء يخبرني ان الفتاة العاقلة ستهرب طلباً لحياتها».

هل انت دائماً عاقلة تماماً؟» تمتم الكلمات قرب أذنها بهمس ابتسمت وقالت:

«في هذه اللحظة العقل يبدو كأنه قد غرق في البحر».

«جيد. أتمنى ان يظل هناك» وأخفض رأسه ولامست شفتاه فمها بإثارة جعلت أنفاسها تتلاحق بشدة.

قالت لنفسها ان هذه لحظة جنون لن تلبث ان تختفي. يجب ان تبقى مسيطرة على أحاسيسها، لحظات قليلة وسيتوقف الدم عن الاندفاع بجنون داخل شرايينها.

همس صوته قرب فمها:

«هل تجمدت ذراعاك؟ لم هما ليسا حول رقبتي؟».

خجل مفاجيء غمرها:

«أتريدهما حول رقبتك؟».

«أيجب اخبارك بهذا؟» سألها بهدوء.

بتردد أطاعته ويداها تزحفان على كتفيه وتلتفان حول رقبته وفيما انغرزت أصابعها بشعره، شعرت بالنيران تغلي في عروقها. وكادت ان تذوب بين ذراعيه، لكن همسة ما حذرتها مما تفعل، لكن الصوت الهامس تلاشى بين طيات الأحاسيس الممتعة التي اجتاحتها.

لكن حين اشتدت ذراعاه حولها وألصقها به بقوة أكبر. صرخت باحتجاج:

«أرجوك طومي، لا مزيد . . . يجب ان نتوقف».

«أرجوك تعني المزيد» قال بإغاظة:

«أستطيع سماع صوت قلبك الذي ينبض. يبدو كأنه قد

www.elromancia.com

جن».

لم يفعل» أنكرت بأنفاس متقطعة:

«هذا الصوت هو صوت ضربات قلبك انت...».

اذن دعيني أستمع حتى أتأكد» ضحك وبسرعة وضع رأسه على صدرها:

«ها هو ذا، ـ لقد أخبرتك بهذا. أستطيع سماع كل كلمة يقولها».

ارتعاشة اجتاحت كل جسدها:

«هذا هراء...».

«لقد كان صادقاً جداً» أكد لها:

«انه يصرخ لنا لممارسة الحب».

«اذن فهو ينطق بالأكاذيب لأن لا نية عندي...».

«لربما ليس بهذه اللحظة بالذات؟».

«ولا بأية لحظة أخرى» قالت بشدة.

«يجب ان تصدقي ان اللحظة ستأتي» أكد لها وهو يحدق بها بعينين ضاحكتين.

«اذا تصورت انني دمية تلتقطها لبعض الوقت ثم ترميها ـ فيجب ان تعيد التفكير».

«أنا لا أهتم بالدمى المؤقتة» أخبرها بجدية.

حملت عيناها الأسئلة وهي تستفسر:

«اذن بماذا انت مهتم؟ بعلاقة لن تصل الى أي حد؟».

استدار محدقاً بالبحر:

«في هذه اللحظة ما أهتم له بالدرجة الأولى هو المد. اذا لم نتحرك فوراً سيغرقنا المد حتى رأسينا» نهض وأمسك بيدها وأنهضها ثم عانقها مجدداً.

محدقة به بصمت. أدركت ان اثارته لم تنتهي بعد، وهذا كان واضحاً جداً لأنه قبلها مجدداً، قبلة قوية تقطعت لها أنفاسها. لكنه حين تركها، ثم أمسك بيدها وقادها نحو

الرمال، لم تكن واثقة بأن ما بداخلها كان شعوراً بالارتياح أم بخيبة الأمل.

وصلا الى الطريق الصخري الممتد نحو ماي بون والمياه تكاد تصل الى أقدامهما، وحين صارا على الطريق أزالا الرمال من أقدامهما قبل ارتداء أحذيتهما.

ابتسم طومي بخبث وقال:

«لقد أنقذك المد».

«ليس تماماً» أعلمته بهدوء:

«لا يزال عندي بقية من قوة الإرادة».

«حقاً؟ شيء يقول لي ان قوة الإرادة هذه قد اهتزت وتخلخلت منذ وصولنا الى هنا».

دافعت بشدة:

«هذا كان فقط في السطح. خلفه أستطيع ان أكون مصممة تماماً».

«بإمكان التصميم ان يحطم» ذكرها وذراعيه تحيطان بها مجدداً ويقبلها بنعومة قبل ان يدير محرك سيارته.

أثناء رحلة العودة، وفيما هي تحدق بالشاطىء الذهبي تجاهلت الاحساس بالنشوة الحالمة التي أحاطت بها. أدركت ان منبع هذا الشعور كان الرجل الجالس بجانبها، وأدركت كذلك ان مشاعرها نحو طومي ماروش قد تحولت تحولاً جذرياً. تحولت او تحسنت؟ سألت نفسها.

ولولا المد، فما كانت قيمة قوة ارادتها؟ أغمضت عينيها وعاشت مجدداً اللحظات التي تمضيها بين ذراعيه، وشفتيه على شفتيها، ورأسه على صدرها. ذكرى لهفتها واشتياقها لعناقه جعل وجنتيها تحمران بشدة وخاصة حين تذكرت قوله لها: ستأتي اللحظة.

ثم صوته العميق أتى الى أذنيها ففتحت عينيها:

«هل استغرقت بالنوم؟».

www.elromancia.com

«لا، أنا فقط أريح عيني.»

الا تقصدين انك كنت... تتذكرين؟» سألها برقة وهو ينظر اليها للحظة.

لم تكن قادرة على النطق. ما الذي شعر به بلحظات الحب والمدابعة تلك؟ هل نسيها؟ اذا فعل فعليها ان تحذو حذوه. ستكون بلهاء اذا جعلت هذه القبلات تفقدها عقلها.

مجدداً تحدث برقة وصوته الآن يغيظها:

«كنت تتذكرين. من غير المجدي انكار ذلك».

أمضت عدة لحظات صامتة قبل ان تعترف بخجل:

«لقد تركني هذا أشعر بالتارجح قليلاً».

«فقط قليلاً؟» سألها بهدوء.

نظرت بعيداً غير راغبة بأن تجعله يعرف الى أي مدى كان تأثير ما حدث عليها. ثم فجأة منزعجة من الطريق التي كانت تسلكه مشاعرها رمته بنظرة متسائلة وقالت:

«على الأقل انت تبدو غير متأثر ـ لكن بدون شك انت معتاد على مثل هذه الأمور».

«انت ترمين الطابة في ملعبي. هل هذا لأنك ترفضين بالسماح لي بمعرفة أي شيء حول مشاعرك؟».

مشاعري هي أمر شخصي يتعلق بي وحدي» قالت.

«مشاعر دائماً محفوظة داخل صندوق جليدي» قال:

«هل انت صعبة المنال هكذا دوماً؟ أمن المستحيل التقرب منك ومعرفة آمالك ومخططاتك للمستقبل؟».

ضحكت رافضة الاستفزاز:

«مخططات؟ لا نية عندي بإفساد هذه اللحظات بالعودة الى هذا الموضوع بالذات».

انت تستمتعين بهذه اللحظات؟» استفسر بلطف مادا يده ليلمس يدها.

طأطأت رأسها موافقة وشعور الغبطة يعتريها لملامسة أصابعه ليدها قبل ان يعيد يده الى المقود. بعد هذا لاحظت انه لم يكن مستعجلاً للوصول الى المنزل. بل كان يقود بهدوء معطياً له ولها الوقت للتمتع برؤية الظلال القرمزية التي أخذت تتجمع بين التلال وليراقبا السماء التي تلونت بالأحمر والذهبي فوق خطوط الشفق.

كان المساء قد خيم حين وصلا الى فروغ هول. الكوخ كان صامتاً ومظلماً والفراغ في الكاراج يدل ان بول يقضي السهرة في النادي. على كل حال الأجواء كانت كل شيء الا الصمت لأن الضفادع كانت قد بدأت غنائها الليلي.

قال طومي:

«سأدخل وأنفقد الكوخ. لا أحد يعرف مَن مِن الممكن ان يكون خلف الباب او تحت السرير».

«شكراً لك. أخشى ان جدي لا يزعج نفسه مطلقاً بإقفال الأبواب. هو يقول انه حتى اللص الأعمى سيرى انه لا يوجد شيء داخل الكوخ يستحق السرقة».

أمسك بيدها وهما يتجهان نحو المدخل وشعرت بالأمان ويدها داخل يده. دخلا غرفة الجلوس حيث قبلها بخفة ثم انحنت لتضع الحطب في المدفأة فيما أضاء هو الضوء. ثم ذهبت الى المطبخ لتسخن الطعام المحضر سابقاً.

لم تشعر بالعصبية لدخولها الكوخ المظلم، لكن تصرفه هذا قد أخبر رحيله، وأدركت انها لا تريده ان يرحل. تنهدت وهي تفكر انه سيكون من الممتع لو يقضيا المساء معاً، لكنها لم تلمح بأي شيء من هذا له. ثم، نظرت الى الطنجرة وقالت باندفاع:

«أترغب بمشاركتنا طعام العشاء؟».

لم يصلها أي رد، احتارت من صمته، خرجت الى غرفة الجلوس لتراها فارغة. على كل حال، الضوء

المنبعث من غرفة نومها جعلها تراه واقفاً قرب مكتبها وبيده أحد كتبها.

استدار ببطء حين دخلت، وفمه المتصلب ونظراته الحادة تظهر بوضوح الغضب المتأجج داخله وهو يقول بحنق مكتوم:

«بدا وأن هناك أشياء اكثر اثارة على المكتب مما خلف الباب او تحت السرير».

آه؟» قالت وهي مرتبكة.

نبرته كانت تحمل الاتهام وهو يقول:

«انت لا تتناصلين لتكتبي القصص. هذه الكتب تثبت انك كاتبة قصص أطفال معروفة ولك منشوراتك المتعددة».

نعم، حسناً... اذن ماذا؟»

«لماذا لم تخبريني؟» سألها ببرود.

«أنا لا أنادي بهذا عادة من على السطوح».

«كان بإمكانك اخباري. لقد فتحنا هذا الموضوع من قبل».

وكنت متسلياً. كنت لدرجة ما تسخر مني، اذا كانت ذاكرتي جيدة» ذكرته بصوت جاف.

«كنت فقط أشجعك للمضي قدماً بالمحاولة ـ وطوال هذا الوقت كنت انت قد تخطيت هذه المرحلة بأشواط» قال وهو يرمي الكتاب بعنف على الطاولة:

«لا بد ان هذا سبب لك الكثير من الضحك والفكاهة».

شعرت بالذنب:

«بالطبع لا. وكنت سأخبرك ـ عاجلاً أم آجلاً».

تابع وغضبه لا يزال متأججاً:

«هذا بالضبط ما قصدته حين قلت انني لا أستطيع الوصول اليك. انت تبعديني عن كل ما يخصك».

«ولماذا تريد الوصول الي؟» سألته وقد حبست أنفاسها بانتظار رده.

حتى أستطيع ان أثق بك» رد بحدة.

الكلمات كان جارحة، لكنها رفعت ذقنها بتحدي:

«لا سبب عندك يدعوك لعدم الثقة بي».

«بدأت أتساءل حول هذا» قال وعيناه تلمعان بغموض. ثم قال بنبرة جليدية:

«اذا كنت شديدة التكتم على أمر كهذا، هذا يجعلني أتساءل عما يدور برأسك».

أطلقت ضحكة هازئة وهي تقول بمرارة:

«كخطة مثلاً لأخذ فيليب الى انكلترا بدون جواز سفر؟».

صوته صار قاسياً:

«لمعلوماتك، مع الصبي جواز سفر. كان جواز سفره معه، لكنه قد اختفى الآن بطريقة غامضة».

حدقت به ووجهها يعكس مقدار ذهولها وعدم تصديقها:

«آه! هل انت تلمح انه بطريقة ما قد قفز جواز السفر ووصل الى فروغ هول؟».

لأن الفكرة كانت تافهة جداً فقد ضحكت لينا بعد تفوهها بكلماتها. ظل جدياً ثم أشار بحدة:

«لقد كنت في غرفة الصبي، وجواز سفره ـ وفقاً لما قالته ساندرا ـ كان مع شهادة ميلاده. هي تقول انه والشهادة كانا في الجارور الأعلى».

تجمدت أصابعها ثم شعرت بالصدمة في صوتها وهي تقول:

«انت تتهمني بسرقته؟ الا تعرف ان مايزي كانت معي طوال الوقت؟ كيف كان بإمكاني تفتيش الجوارير بوجودها؟».

www.elromancia.com

«ساندرا تقول انه لربما تركتك مايزي لبعض الوقت بعد ان تركتك هي نفسها لتحضر الطعام للصبي. لكن علي الاعتراف ان مايزي تنكر هذا».

«تبدو وكأنك متردداً بتصديقها ـ هل هذا لأنك تفضل تصديق ساندرا؟». سألت بصوت يعكس خيبة الأمل.

ملامحه كانت غير واضحة:

«ساندرا تقول ان مايزي قد نسيت انها تركت الغرفة، أو انها لا تريد الاعتراف بذلك. أعتقد انهما قد تشاجرتا بشدة بهذا الشأن».

انفجر غضب لينا وصرخت:

«ساندرا تقول ـ ساندرا تقول ـ كيف تجرؤ هي على اتهامي بأني سارقة ـ وكيف تجرؤ انت على تصديقها؟».

«اهدائي» نصحها:

«لا حاجة لتنفجري باللهب. وكذلك لا تستطيعين ان تلوميني لتساؤلي بوجود كل الدلائل».

«بوجود كل الدلائل؟» صرخت بشدة.

«صداقتك مع رونزا، وصداقتك مع الصبي ـ والآن مسألة جواز السفر المفقود هذا...».

والذي لا أعرف شيئاً عنه. أتفهم؟ لا أعرف شيئاً عنه».

استدارت بحدة وغادرت الغرفة، عائدة الى غرفة الجلوس حيث رمت قطعة خشب في المدفأة وتهاوت على الكرسي بتعاسة بعد ان أخذت تراقب الشرارات المشتعلة لعدة لحظات. لا بأس، على الأقل عرفت مكانها عنده. تبعها الى الغرفة ثم أخذ يراقبها وهي متكورة في كرسيها بصمت الى ان قال أخيراً:

«تبدين كأنك تجلسين تحت غمامة سوداء. أأسكب بعض الشراب؟».

«لا شكراً لك، الشراب سيخنقني. لكن أخدم نفسك

اذا أردت».

«شكراً» قال وتوجه الى طاولة المشروب ثم استدار نحوها مجدداً:

«أمتأكدة انك لا ترغبين بكأس من عصير الكرز؟ قد يساعدك هذا على التفكير بوضوح».

دفعت دموعها بعيداً ومسحتها بطرف أكمامها ثم قالت:

«تفكيري بالغ الوضوح ـ بدون مساعدة الكرز. أستطيع ان أعرف تماماً لماذا اصطحبتني معك الى النزهة هذا اليوم».

هل انت واثقة من ذلك؟».

«الأمر أكثر من واضح. هدفك كان كسب ثقتي. كان الأمر خطوة في طريق التليين، وخلالها كنت تأمل انني سأعترف لك بأي خطة تعتقد انني أدبرها. الأمر فقط انه لا يوجد أية خطة. أما فيما يتعلق ببقية النهار...» صمتت لأن الكلمات خانتها وهي تحاول جاهدة عدم البكاء.

«تقصدين حين كنا قريبين جداً من بعضنا البعض؟».

«أرجوك، لا تذكرني ـ أفضل نسيان ما حصل».

«هل هذا أمر آخر انت واثقة منه؟».

«واثقة مئة بالمئة. الذكرى تسبب لي الألم الآن لأنني صرت أعرف ان كل شيء كان... حميمياً جداً. أنا آسفة لأنني اضطررتك لأن تلجأ لهذا الأسلوب لتعرف شيئاً لم يكن موجوداً أصلاً».

قطب:

«ماذا تعنين؟».

«حسناً، كان علي اخبارك حول كتبي قبل هذا الوقت. كان علي اخبارك ان كتبي قد نشرت بمساعدة رونزا، ولهذا فحين طلبت مني اطلاعها حول اخبار ابنها شعرت انني مضطرة لذلك. شعرت انني أدين لها بذلك. لكن دعني

أؤكد لك ان فكرة أخذه لها لم تخطر ببالي مطلقاً، ولا هي طلبت مني ذلك مطلقاً. هذا هو كل الأمر - لا شيء أكثر ولا شيء أقل».

احتسى شرابه بتكفير حتى آخر قطرة ثم قال:

«حسناً - سأبذل جهدي لتصديقك».

«لا تزعج نفسك بذلك» ردت بغضب عارم.

ظل هادئاً:

«آمل الا أكون قد أزعجتك كثيراً».

تحدثت ببرود:

«أنا لست معتادة على الأشخاص الذين يشكون بسلوكي لهذه الدرجة».

حدق بكأسه:

«ماذا بإمكاني ان أقول أو أفعل لأعيد الأمور الى نصابها؟ أنا أكره هذه العدائية بيننا».

تجاهلت توسله للطمأنينة:

«تستطيع ان تنهي شرابك وترحل عن ناظري» قالت والتعاسة المطلقة تغمر كلماتها.

«هل يعني هذا انك لا تريدين رؤيتي مجدداً...».

«لقد وصلتك الرسالة تماماً».

حسناً جداً» أنهى كأسه. وضعه على الطاولة ثم توجه نحو الباب. فتحه ثم استدار لينظر اليها وقال وصوته لا يزال بارداً:

«تصبحين على خير لينا».

«الى اللقاء، طومي» قالت وعيناها مركزتان على النار أمامها لأنها لا ترغب بأن تجعله يرى مدى التعاسة المرسومة على وجهها وداخل أعماق عينيها الدامعتين.

سمعت صوت خطواته على الشرفة الأمامية ثم صوت سيارته المنطلقة بسرعة بعيداً عن فروغ هول. أسرعت الى

غرفة الحمام وغسلت وجهها مخافة ان يعود جدها ويرى دموعها. لكن بول تأخر أكثر من عادته هذا المساء وحين عاد كان مشغولاً بمشكلة كانت قد حدثت في النادي. وكان مأخوذاً جداً بما حدث وهو يخبرها عنه لدرجة انه لم يلاحظ ملامحها التعسة - أخيراً استطاعت الهروب الى سريرها، حيث أخذت تتذكر ما حدث ودموعها تسقي الوسادة.

لقد كانت غبية. كان عليها اخباره حول قصصها وكتبها قبل هذا المساء وعندها ما كان ليحصل اليوم. وأيضاً لقد تفاعلت بشدة مع شكوكه حول ما يتعلق بنواياها حول فيليب. لماذا لم تحتفظ بهدوءها بدلاً من السماح لغضبها بالسيطرة عليها؟.

أما فيما يتعلق بالقبلات على الشاطىء - فمن الواضح انها لم تكن تعني شيئاً له، ولهذا فمن الأفضل لها نسيان ما حدث هناك تماماً. فبعد كل شيء، هي هنا للإهتمام بجدها، ولتتابع مؤلفاتها وقصصها المخصصة للأطفال. هي لم تكن هنا للتورط مع شخص مثل طومي ماروش - اذا لم تتصرف بعناية - فهذا سيؤدي الى المزيد من الدموع.

اذن لماذا هي تبكي الآن؟ لماذا كانت تذرف الدموع على رجل يستطيع ان يرفعها الى الغمام، ثم وبلحظة يهوي بها الى أعماق اليأس في محاولاته لمعرفة ما كانت تخطط لخطف فيليب.

تململت في سريرها، لكن بالرغم من محاولاتها ظل النوم يجافيها. والصمت في الخارج يقطعه ثغاء الخراف أحياناً ونقيق الضفادع حيناً آخر.

«العمل هو ما أحتاجه» تمتمت بصوت عالٍ، ثم نهضت وأضاءت المصباح:

«الآن هو الوقت المناسب لمتابعة قصة الكهف».

www.elmanara.com

نهضت الى الورق والقلم لكن صورة وجهه كانت تتراءى أمام عينيها على الورق بعينيه الرماديتين الباردتين وفمه الذي قبلها بشغف وحتى انها كانت تشعر بدفء ذراعيه حولها.

هزت رأسها وتناولت أحد كتبها، لكن الكلمات كانت لا معنى وأفكارها مسكونة بمن تريد ان تنساه ضمن عقلها المشوش. نعم، كل علاقتها بطومي ماروش مشوشة، لقد زرع فكرة ما برأسه روتها ساندرا بكثرة ـ ساندرا قالت، ساندرا قالت، يا له من بغيض، ان يشك بقدرتها العقلية وأيضاً ان يشك بصدق كلامها وصراحتها هذا كان شيئاً كثيراً؟!؟.

علاقتها كلها به مجرد علاقة عابرة في فروغ هول، لا أكثر ولا أقل.

أخيراً الارهاق الحامل هو الذي دفعها للنوم، مع انها كانت ليلة غير مريحة تتخللها الكوابيس والأحلام المزعجة.

ولم تغفل عينا جدها عن وجهها المتجهم وعينيها المتورمتين أثناء تناولهما للفطور.

«أكانت ليلة نوم سيئة؟» سألها.

«نعم، ظللت مستيقظة بعد أحلام سخيفة مزعجة» اعترفت.

شعر بالإثارة:

«هل هناك شيء تنبؤي ما».

«تنبؤي؟ لا. كمعظم الأحلام كانت مجرد رؤى سخيفة. كنت أطارد مهر فيليب الرمادي على طول الشاطىء».

التمعت عيناه:

«أأنت واثقة انه لم يكن كائناً طويل القامة بعينين رماديتين؟».

الارهاق جعلها تقول:

«أنا أعرف ما الذي تحاول الوصول اليه جدي، لكن بإمكانك نسيان الأمر. أشك انني سأراه مجدداً ـ مطلقاً ـ اذن بإمكانك الاحتفاظ بتلميحاتك لنفسك».

اقتربت حواجب بول من بعضها بتقطيبة ثاقبة: -

«لقد تشاجرتما ايه؟».

«تستطيع قول ذلك مجدداً» ردت بنبرة شبه غاضبة:

«هل تصدق انه كانت له الوقاحة التامة، الجرأة والقدرة على التلميح انني أنوي خطف فيليب وأخذه الى والدته في انكلترا؟ هل سبق وسمعت بشيء أكثر سخافة من هذا؟».

ظل بول على تقطيبته:

«لا تستطيعين لومه على تساؤله عن سبب تشجيعك للصبي بالقدوم الى هنا، وأنت صديقة لوالدته» ذكرها مبرراً شك طومي.

ارتفع صوتها مع تصاعد غضبها:

«لكن ليس لدرجة ان أكسر القوانين وآخذ الولد بطريقة غير قانونية من حضانة والده له. يا الهي ـ سأكون مجنونة تماماً لأفعل هذا. كيف يجرؤ طومي على الاعتقاد انني غبية لهذه الدرجة؟ يغيظني جداً ويغضبني ان تكون نظرته نحوي منخفضة وسيئة لهذه الدرجة».

«لربما كانت له تجارب سابقة مع الفتيات من الممكن انه يعرف انهن قد يتصرفن باندفاع وأن المرء لا يعرف أية أفكار طائشة قد تخطر ببالهن. يجب ان تتذكري انه يشعر بالمسؤولية تجاه الصبي».

امتلأت عيناها بالحيرة:

«الى أي جانب انت، جدي؟».

«الى جانبك انت بالطبع، لكني أحاول رؤية وجهة نظر طومي كذلك» قال بهدوء.

«أنتم الرجال دائماً تنحازون الى جانب بعضكم البعض».

تابع متجاهلاً كلماتها:

«ولا أنا أحب ان أرى نهاية علاقتك معه. انه ليس مثل ذوي الشعور الطويلة الذين تصادفينهم في المدينة».

شعرت بالغضب:

«أنا لا أرافق ذوي الشعور الطويلة. كل أصدقائي محترمون يتمتعون بمستقبل مهني واضح أمامهم».

هل هم كذلك حقاً؟ حسناً، لا تقلقي يا ابنتي. سيعود طومي ـ تماماً مثل البجعات السوداء في البحيرة».

التمعت عيناها الخضراوان وهي تنهض لترفع الفطور

«إفهم هذا جيداً، جدي. أنا لست قلقة بشأن عودة أو عدم عودة طومي».

«لا؟ حسناً، هذا رائع» رد بجفاف:

«اذن فما هي مخططاتك لهذا اليوم؟ المزيد من الرسائل لتلك المرأة في انكلترا، على ما أعتقد؟».

«بالطبع لا. لديها الكافي من المعلومات التي ستكفيها لفترة. اليوم سأركز على قصة الكهف. لقد فكرت ببعض الأحداث الغامضة التي ستساعدني على اطالة القصة».

«يبدو وكأنك ستلتصقين بآلتك الكاتبة طوال النهار، وغداً وبعد غد».

«هذه هي نيتي تماماً جدي. لقد حان الوقت لأتفرغ تماماً للعمل بدلاً من اضاعة الساعات في أماكن مثل الشاطئ» ماتت الكلمات على شفاهها لتذكرها تلك اللحظات على الرمال وهو يعانقها. الذكرى سببت الألم داخل قلبها وعيناها صارتا ملبدتين لدرجة انها لم تعد تستطيع الرؤية أمامها.

بسرعة تشاغلت بتنظيف الصحون. ومن زاوية عينها

رأت جدها يخرج ليجمع الحطب لمدفأة غرفة الجلوس، وفيما هو يعود ويمر من أمامها ليضع الحطب مكانه سمعته يتمتم شيئاً حول الكبرياء الذي يقتل الكثير من علاقات الحب الرومانسية الجميلة.

كادت ان تقول له ان علاقة الحب الرومانسية بينها وبين طومي لم تكد تبدأ، لكنها أدركت ان جدها لن يقتنع.

وأخيراً شعرت بالارتياح حين رأته يخرج الى قطيعه بدون ان يسألها المزيد من الأسئلة.

عادت الى آلتها ودون جدوى حاولت التركيز على قصة الكهف لكنها كانت دائماً مرهفة السمع لتسمع صوت أقدام على الشرفة الأمامية أو صوت طرقة على الباب. لكن شيئاً من هذا لم يحدث. ولن يحدث هذا أيضاً، كما أدركت. لقد قال لها تصبحين على خير بلطف وأدب لكنها ردت عليه وبقوة الى اللقاء طومي. كأنها تصفع بوجهه باباً لن يفتح مجدداً ـ لو انها فقط تركته موصوداً ـ وبدأت تندم على قولها له هاتين الكلمتين.

نهضت وأخذت آلتها الكاتبة الى الشرفة، الهواء النقي سيساعدها على صفاء تفكيرها. أخذت تحدق بالبحيرة ورأت بجعة سوداء كبيرة بجناحيها الكبيرتين تطير نحو البحيرة قادمة من فوق الطريق المتعرج في طريقها للهبوط على الماء. ارتفعت معنويات لينا لرؤيتها هذه وكأن كلمات جدها حول كون طومي مثل البجع الأسود سيعود دوماً الى مكانه تعويذة ما ستتحقق وأن طومي سيعود؟.

لربما هذا المساء؟ لكنه لم يظهر لا هذا المساء ولا في الأمسيات اللاحقة.

من الغريب كيف يهدأ مرور الوقت من الغضب، فكرت لينا بعد مرور أسبوع كامل. لقد أنجزت الكثير في قصتها حول الكهف، لأنها استعملت قوة ارادتها في التركيز على

ما تكتبه وليس على شيء آخر. وكانت شاكرة لأن بول زودها بتفاصيل رحلة طائرة الهليوكبتر.

بنهاية اليوم العاشر، لم يظهر طومي مطلقاً قرب فروغ هول، وحين كانت ترفض التفكير به. بعض الأحيان كانت الذكرى تغلبها. خلال هذه اللحظات كانت تجد نفسها تحدق بالفراغ متذكرة ضغط شفتيه على فمها أو قوة ذراعيه حول جسدها.

أما فيما يتعلق بفيليب فقد أدركت انه ولا شك يمتطي تافي كل يوم، ولا حاجة لتخيل مدى الفرح والغبطة التي ارتسمت على وجهه حين رأى مهره للمرة الأولى.

ثم جاء المساء حين صوت طرقة على الباب أعلنت ان الصبي قد حضر لزيارتها ووجهه يشرق وهو يقول:

«مرحباً، لينا، لقد صار عندي مهر، مهر حقيقي. أريدك ان تأتي وتشاهدي تافي، انه على الطريق المتعرج».

انت تمتطيه وتتنزه به لوحدك؟» سألته لينا.

«لا، ساندرا هناك أيضاً، هي لا تدعني أمتطيه على الطريق المتعرج بمفردي. تقول انه متعرج جداً. لكن يوماً ما سأفعل» عيناه العسليتان برقتا للفكرة.

شعرت لينا بالدهشة:

«ساندرا سمحت لك بالمجيء لإحضاري؟»

ابتسم لها:

«هي لا تعرف اني أتيت الى هنا. لم ترني أركض على الطريق المتعرج لأنها كانت منشغلة بالتحدث مع غاري. هي تتحدث معه في كل مرة نخرج بها على ظهر الأحصنة».

ضحكت لينا:

«هي تفعل ذلك فعلاً؟»

طأطأ فيليب موافقاً:

«انه يصلح السور قرب الطريق المتعرج ولهذا فقد أتينا الى هذه الناحية. لقد أوقفت تافي على مسافة قريبة وجئت لأراك. أرجوك تعالي وشاهدي مهري» توسل.

نظرت اليه بشك، مدركة ان ساندرا لن ترحب بحضورها، ثم هزت كتفيها بعدم اكتراث:

«حسناً جداً ـ ولم لا؟» قالت.

تبعت الصبي حول البحيرة وهو يقفز أمامها ليرشدها الى المكان قرب الطريق كانت ساندرا واقفة تتحدث مع رجل كان يصلح سياج السور.

بدت ساندرا تضحك بسعادة لكنها استدارت حين اقتربا. وحدقت بلينا ثم عنفت فيليب:

«ألم أخبرك الا تنزل الى ذلك الطريق المتعرج؟».

تجاهلت لينا غضبها وهي تقول بهدوء:

«لقد أتى لإحضاري لمشاهدة مهره. هل هذه جريمة؟».

«طومي لا يريده ان يقترب منك» ردت ساندرا بحدة:

«ويجب ان أتأكد من عدم اقترابه منك. انت تعتبرين خطرة».

الرجل الذي يصلح السور ضحك وهو ينظر الى لينا باستمتاع:

«هي لا تبدو خطرة لي» قال لساندرا:

«لما لا تعرفينا على بعضنا وتدعيني أحكم بنفسي؟» ثم لأن ساندرا ظلت صامتة فقد وجه كلامه للينا:

«أنا غاري بالمر».

ابتسمت لينا له:

«نعم، أعرف. أخبرني طومي انك تهتم بأمور العمل لحين عودة ماك. أنا لينا كورت. في الواقع، لقد سبق ورأيت المهر، اصطحبني طومي معه حين ذهب لشراء

www.elromancia.com

تافي. يبدو انه مهر هادىء جداً».

«بالتأكيد هو هادىء - وإلا لما اشتريناه» قالت ساندرا بتهكم:

«ويبدو انه الجواب لكل مشاكلنا مع الصبي».

رد غاري بدهشة:

«فيليب هو مشكلة؟ بأية ناحية؟».

شرحت ساندرا بصوت جليدي:

«عوضاً عن نزوله من باص المدرسة في المكان الصحيح، فقد اعتاد على النزول في المكان الخاطىء. وهي شجعته بالطبع».

«أتعتقدين انه بحاجة للكثير من التشجيع؟» قال غاري بابتسام.

السؤال كان كصفعة لغضب ساندرا، جعلها توجه حنقها نحو لينا:

«من الطبيعي ان عندك الدافع لفعل هذا - خطة داخل رأسك. لكن هذه الخطة قد وصلت الى السد المغلق بشراء طومي المهر».

بدا غاري مستمتعاً:

«أخبريني المزيد. أي نوع من الخطط قد يكون لديها؟».

وجدت لينا صعوبة بالسيطرة على أعصابها. احترقت وجنتاها والتمعت عيناها كالشرارات وهي تحدق بساندرا:

«عندك الجرأة للتملح ان عندي خطة مخبأة» قالت:

«ما الذي يعطيك مثل هذه الفكرة التافهة السخيفة؟».

نظرت ساندرا اليها ببرود:

«حقيقة انني لم أجد جواز سفر فيليب. ولقد سمعت طومي يقول لمايزي انك صديقة والدته. وهذا جعلني أتساءل ان كانت عندك خطة لأخذ الصبي اليها - وهذا

جعلني أدرك ان علينا الانتباه على جواز سفره، لكن حين حاولت ايجاده، كان مفقوداً. والأكثر من هذا. انه لا يزال مفقوداً».

لا داع لتتهميني» أعلمتها لينا ببرود:

«فأنا لم أراه مطلقاً».

ظلت ساندرا تحدق بها باتهام:

«طومي يعرف انه لا يزال مفقوداً. من الطبيعي، انني قد حذرته من نواياك».

نظر غاري الى فيليب الذي كان ينقل نظراته من لينا الى ساندرا. ثم داعب رأس الصبي وقال:

«تعال معي أيها الصديق الصغير - سأساعدك على امتطاء تافي. لقد حان وقت متابعة ساندرا لدروس تعلم الفروسية خاصتك».

استدارت ساندرا لتحدق بغاري:

«يبدو وكأنه أمر بالانصراف موجه نحوي» قالت بتعاسة.

مرر يده بشعره الناعم قبل ان يرميها بنظرة نفاذ صبر:

«افهميها كيفما شئت. النقطة هي انه يجب ان أتابع عملي بإصلاح السياج وأريد متابعة عملي، لذا لو سمحت...».

ارتفعت ذقن ساندرا:

«حسناً جداً - سأراك مجدداً حين لا يكون المكان مزدحماً» الكلمات الأخيرة ترافقت مع نظرة حقد نحو لينا قبل ان تضع قدمها في السرج وتصعد على صهوة فرسها. راقبتهما لينا وهما يبتعدان خلف الأشجار ثم استدارت وحركت يدها مودعة غاري.

قال لها بنعومة:

«لا داع لك لتسرعي بالذهاب. أستطيع التحدث وأنا أعمل».

«أنا واثقة انك تستطيع ـ لكن لدي بعض الأعمال لأقوم بها في المنزل». تركته وتوجهت نحو الطريق المتعرج.

«أراك لاحقاً» قال مودعاً:

«سأكون بنفس هذا الموقع غداً».

هذا سيكون جيد لك» قالت له وتابعت لتتوقف فجأة حين رأت طومي يخرج من أحد الاسطبلات ويتجه نحو غاري ليقول له شيئاً ما قبل ان يتوجه نحوها. هل يشك الآن انها تضيع وقت غاري ـ أم انه كان على وشك ان يتهمها بالتعدي على أملاكه؟ ابقي فقط خارج حدود أرضي، قال لها مرة في السابق. ولأن اندفاع داخلي خاص بها دفعها للوقوف ومواجهة، جزء آخر من عقلها حثها على نزول الطريق المتعرج بسرعة. واستجابت للأمر العقلي الأخير.

ناداها طومي من أعلى الطريق المتعرج:

«هاي! لينا! لم العجلة؟ أريد التحدث معك...».

تجاهلت كلماته وكادت ان تركض نحو آخر السور. فيما هي تتسلقه التفتت ورأت انه قد ربط حصانه وكان يلحق بها.

أسرعت بخطاها وهي تدور حول البحيرة لكنه لحق بها وهي على عتبة باب الكوخ وأمسك بذراعها وأدارها نحوه وأنفاسها متقطعة وغير قادرة على مقاومته بقبضته الحديدية هذه.

«لماذا انت تهربين كالأرنب المذعور؟».

سألها بعصبية وتنفسه متسارع.

«ما ـ ماذا تعني؟».

«اريد فقط التحدث معك. هل هذا مستحيل؟».

«ليس فعلاً. أعتقد. من الأفضل ان تدخل وعندها ستكون قادراً على قطع رأسي لأني تعديت على أملاكك.

أنا لم أنس تهديدك السابق».

ظهر الاستمتاع عليه وقال:

«أحقاً لم تنسين، ايه؟».

«لا، وكنت على أرضك لأن فيليب أرادني ان أشاهد تافي. لم أستطع تخييب أمله برفضي مرافقته».

«أنا مدرك لهذه الحقيقة. لقد تحدثت مع ساندرا وهما يمران من قرب الحظيرة. أخبرتني انه قد خالف الأوامر ونزل الى فروغ هول ليناديك فيما كانت هي تتحدث مع غاري. وكذلك علمت بأمر النزهات اليومية التي يقومان بها والتي تتجه دوماً الى المكان الذي يعمل به غاري» توقف ثم سأل:

«أعتقد ان بول في ناديه؟».

«نعم. انه محظوظ لوجود مكان يستطيع قضاء وقته فيه برفقة الرجال» التحدث عن جدها جعلها تشعر بالطبيعية أكثر. ساعدها هذا على التغلب على موجة الاثارة التي جعلت أصابعها ترتعش وهي تضع عود ثقاب في مدفأة غرفة الجلوس.

فيما انحنت أمام المدفأة، عاد عقلها الى المرة الأخيرة التي كانت بها معه في هذه الغرفة. كانت منذ عشرة أيام تقريباً، لكنها تشعر وكأنها حدثت منذ دهر كامل، وفجأة شعرت كم هو رائع وجوده هنا. وأدركت كذلك وحشتها ومدى اشتياقها له.

أدركت الآن انه كان يراقب كل حركة كانت تقوم بها، وهذا ملأها بالعصبية. ازدادت ارتعاشة أصابعها وهي تضع قطع الخشب الصغيرة داخل المدفأة. وحين سقطت قطعة من الخشب اللاهب من مكانها، كان هو بجانبها لحظة ليعيد القطعة الى مكانها.

سوياً ركعا قرب المدفأة وملامسة ذراعه الخفيفة لذراعها

ترسل الارتجاف داخل قلبها. النار المشتعلة أرسلت موجة من الدفء الى وجهيهما وفجأة امتلأت الغرفة بجو من الحميمية زاد من اضطراب لينا.

نهضت بسرعة من مكانها وابتعدت عنه:

«قلت انك تريد التحدث معي» ذكرته محاولة ابقاء صوتها ثابتاً.

نهض على قدميه، وضع يداه في جيوبه وقف وظهره الى النار. كلماته كانت عادية:

«تعتقد مايزي انه قد حان الوقت لك ولبول للحضور وتناول العشاء عندنا».

خبأت دهشتها:

«أهذه دعوة؟».

«بالطبع. وما قد تكون غير ذلك؟».

«من مايزي؟» سألته بتردد.

«انها مضيفتي، كما تعلمين. على الأقل هناك أوقات تتصرف بها على انها مضيفتي. وهي تعترف انها قد أحبتك. أعتقد انها ترغب بالتعرف اليك أكثر».

«تقصد انها لا تنظر الي على كوني سارقة؟» سألته بتعمد:

«حسناً، هذا لطف منها. بصراحة لقد أحبتها أنا أيضاً» فكرت لعدة لحظات ثم نظرت اليه مباشرة وسألت:

«اذن هذه الدعوة هي من مايزي؟ وليست منك انت».

حدق بها بصمت قبل ان يقول:

«اذا اعترفت ان هذه الدعوة مني أنا فأعتقد انك سترفضينها مباشرة. أتذكر انك قلتِ الى اللقاء، بقوة سابقاً، ولهذا وبدون شك يجب ان أنتقي كلماتي حتى لا أواجه مجدداً بإغلاق بابك بوجهي ثانية».

«لا، لقد تخطيت مرحلة الانزعاج الخاصة تلك، مع

انني أعترف انني قد تأذيت كثيراً في ذلك الحين».

«أنا لم أقصد ان أؤذيك».

«في هذه الحالة أتمنى الا ألقاك مطلقاً بوضع تنوي به فعلاً أذيتي» قالت بجدية.

«هكذا وضع لن يحدث مطلقاً» طمأنها بهدوء.

رمته بنظرة محتارة، متسائلة لماذا تشك بكلماته، ثم هربت منها ضحكة مريرة وقالت:

«في هذا الوقت علي ان أتقبل الاتهامات بسرقة جواز السفر والتخطيط لخطف الصبي؟ يجب ان أتناسى هذه الإهانات وجرحها لشرفي وصدقي؟ شخصياً. لا أستطيع فهم كيف استطعت ان تصدق هذه الأمور عني، خاصة بعد...» صمتت لأن الكلمات خانتها.

جاءها صوته فوراً:

«أنا لا أصدق هذا عنك. على الأقل، ليس الآن. التفكير الواضح أخبرني فوراً ان الفكرة كانت حقاً غير معقولة. ولا استطعت ان أرى كذلك الفائدة التي ستجنيها من هكذا تصرف».

«اذن لماذا ترميني بهذه الاتهامات؟» سألته بقوة:

«خاصة بعد ان كنا... كنا قريبين جداً» هذه المرة الكلمات الأخيرة سحبت سحباً منها.

أخذ نفساً عميقاً كان كتنهيدة حنق وقال:

«أستطيع فقط القول ان التلميح هذا قد زرع في رأسي، ووجدت صعوبة بتخليص نفسي منه».

«زرعته ساندرا» قالت لينا وشفاهها تتقلص باحتقار.

«أعتقد انها شعرت انها مسؤوليتها ان تخبرني عن مخاوفها» قال:

«وصدقيني، كنت بحاجة ملحة لسماع انكارك وتأكيدك انك لم تكوني تفكري بهكذا أفكار».

نظرت اليه وقلبها يعتصر لذكرى المشاجرة التي حدثت بينهما حين عادا من الشاطىء.

وكأنه قرأ أفكارها فقد قال:

«لربما كنت غير حكيماً بإعتباري لكلام ساندرا. كان يجب ان أكون أكثر دبلوماسية».

«أكثر ثقة هي كلمة أفضل» قالت له بمرارة:

«حقيقة انك لا تثق بي أمر يزعجني بشدة حقاً، ويقرض أعصابي لدرجة انني أوشك على الصراخ كلما فكرت بذلك...».

أمسكت يداه بكتفيها، هازاً اياها بلطف وهو يقول بنفاذ صبر:

«اذن اصرخي قدر ما تشائين وخلصي نفسك من الضغط. وبعدها قد يكون من الممكن لك ان تري الموضوع من وجهة نظري» بالرغم من اقترابنا على الشاطىء من بعضنا البعض ظللت أتساءل ان كان هناك أية خطط مخبأة في عقلك. أكنت تخططين لخطف الصبي - المسؤول أنا عنه - حتى حين كانت ذراعاك حول رقبتي؟».

لا - لا - بالطبع لا» صرخت بحدة مبعدة نفسها بغضب عن يديه:

«يا الهي - لا بد انك تعتقد انني بلهاء، وغبية. هل انت حقاً تعتقد انني قد أكون بلهاء وصغيرة العقل حتى لا أميز ان بقاء فيليب في مارشلاندز أفضل له بكثير من ذهابه الى لندن؟».

«كنت لأظن ان هذا الأمر سيكون بالغ الوضوح لأي شخص».

اندفعت:

«وأنا لم أنس ان رونزا هي التي تركت فيليب ورحلت - اذن اذا رغبت برؤيته فلتعد الى نيوزيلند لتتمكن من ذلك.

تستطيع الطيران من لندن الى أوكلاند، ثم من أوكلاند الى نابير، التي تبعد أربعة وخمسون ميلاً فقط من هنا. أنا واثقة ان أحدهم سيوصل فيليب من هنا الى نابير حتى يراها».

«بالطبع لا» قال بسرعة:

«تستطيع القدوم بنفسها لتراه».

«هل انت حقاً رجلاً قاسياً هكذا؟».

«الاتفهمين انني أفكر بالصبي؟ اهتمامي كله ينصب نحوه. ما الذي سيحدث له حين يضطر لتركها والعودة الى مارشلاندز».

ما الذي سيحدث؟ سألت نفسها بتعجب ثم سألت بقلق:

«الا تزال تعتبر كتابتي لها وإخبارها عنه جريمة؟».

«لا، أظن ان هناك أمراً منطقياً بهذه النقطة» قال ثم فاجأها بسؤالها:

«أتعتقدين ان هذا الحديث الصغير قد صفى الأجواء - أم انه قد زاد الأمور سوءاً بيننا؟».

«وهل من الممكن ان يكون هناك سوء أكثر من هذا؟» سألته برقة.

«فقط باستمرار عدم التفاهم - والذي هو شيء أريد ان أتحاشاه».

كلماته الأخيرة رفعت معنوياتها. أيهتم حقاً بأن تكون الأمور بينهما متحسنة وليست سيئة؟ الفكرة جلبت ابتسامة على ثغرها وهي تعترف:

«أشعر ان الأمور أحسن. وكأن غمامة سوداء قد تباعدت» نظر اليها بدقة:

«أتشعرين بذلك انت أيضاً، تلك الغمامة السوداء؟ كنت مستاءة؟».

طأطأت رأسها موافقة

«شجارنا جعلني تعيسة. أنا أكره الشجار».

«وكذلك أنا. أنبدأ من جديد مع وعد بعدم الشجار مجدداً؟».

«نعم، أرجوك... هذا سيكون أمراً رائعاً نظرت اليه وتوقعت ان الشجار ينتهي عادة بقبلة، فكرت وهي تنتظر عناقه، لكنه لم يخطو نحوها. بل ظل واقفاً مكانه وبدون ان ينظر اليها قال:

«حول مجيئكما الى العشاء - أيناسبك مساء الغد؟».

«يناسبني أنا ولا يناسب جدي» أخبرته:

«غداً اجتماع النادي السنوي حيث يحتفلون بعشاء مجاني للجميع».

«في هذه الحالة سننقذك من تناول العشاء بمفردك. أأمر لاصطحابك في السادسة؟».

«لا داعي لذلك. عندي سيارتي، لكن شكراً لعرضك اللطيف».

ردت بكبرياء وهي تحارب شعور الخيبة الذي اعتراها لعدم محاولته عناقها.

«لكني سأمر عليك، آنسة الاستقلال. لكن الآن يجب ان أعود لأرى أين وصل غاري بعمله. انه عامل نشيط وحين يعود ماك فسأبقيه كمساعد له. أنا واثق ان ساندرا ستكون أكثر من سعيدة لهذا». قال بابتسام.

«ستكون مبتهجة» وافقته لينا بجفاف، مدركة ان أفكار طومي كانت مع أناس آخرين أكثر مما كانت معها هي.

تركها بعد لحظات، بدون ان يلمسها، مضاعفاً درجة خيبتها. وحين راقبته وهو يبتعد تحول شعور الخيبة الى شعور فقدان شيء عزيز جداً.

بالرغم من تصالحهما، يبدو بعيداً عنها، وأدركت انه لن يكون هناك قبلات حارة أو عناقات حميمية. غداً عليها

توقع عشاء صداقة فقط. حسناً، فليكن الأمر كذلك. على الأقل هي تعرف مكان موقعها معه.

هذه المعرفة كانت تسبب لها الألم ونامت تلك الليلة ودموعها تنساب بقوة على وسادتها في الظلام. قالت لنفسها انها كانت حمقاء وغبية وأنه لا شيء يستدعي بكاءها، لكنها لم تستطع اقناع نفسها بهذا. انهما أصدقاء، لا؟ لقد تصالحا، لا؟ اذن فلماذا كل هذا اليأس؟ لماذا عادت الغمامة السوداء؟

الصدق أجبرها على الاعتراف ان السبب هو لأنه لم يضمها بين ذراعيه وفجأة أدركت انها تتلهف لأن تكون هناك، بين أحضانه. هل يعني هذا انها كانت منجذبة بشدة له كرجل - أم يعني انها كانت تقع في حبه؟.

حين أخبرت لينا جدها انها ستتناول العشاء في مارشلاندز، لم يحول اخفاء رضاه. راقبها وهي تضع اللفافات في شعرها ثم طلب ان يشاهد ثوبها.

الطلب جعلها تضحك:

«لا تهول الأمر جدي - انها ليست حفلة عـ ـ ضخمة» أكدت له:

«الضيفة الوحيدة هي أنا. وقد كان طومي لطيفاً جداً لسبب غريب ما».

«همم. ربما» قال بول بعدم اقتناع، لكنه لاحقاً أظهر موافقته على مظهرها:

«لا داعٍ للقول انك تبدين ساحرة، على ما أظن».

شعرت بالرضى لأنه لم يكن رجلاً يعطي المدح بسهولة:

«شكراً لك جدي. أتمانع بالذهاب حتى لا تتأخر على حفلة عشائك».

نظرت الى نفسها عبر المرآة الكبيرة، وشعرت بالغبطة

www.elromancia.com

لشراءها لهذا الثوب الأنيق الجميل وللجاكيت المناسبة له. الياقة المنخفضة كانت مشذبة على شكل أصداف مزينة بخطوط الذهب المتواجدة أيضاً على أطراف الجاكيت.

مجوهراتها الوحيدة كانت عبارة عن قرطين ذهبيين بشكل الإطار تناسب بدقة الثوب. حذاء ذهبي عالي الكعب ومحفظة فرنسية ذهبية، أكملا أناقتها الفائقة، ولكنها شعرت بالذعر من ان تكون قد بالغت بأناقتها. لكن الوقت كان قد فات لتغير ما ترتديه لأن طومي كان يدق على الباب.

دخل غرفة الجلوس، ثم توقف وأخذ ينظر اليها بصمت. بذته الرسمية كانت تلائمه تماماً وتزيد من جاذبيته ووسامته.

«تبدين رائعة» قال أخيراً وصوته العميق ملون بالإعجاب الصادق.

«لقد أخبرتها بذلك قبلك» قال بول ثم أضاف بابتسام:

«أنا سعيد لأن الآخرين يرون ذلك أيضاً».

«ستتأخر على العشاء» حذرته لينا بسرعة ثم عادت الى طومي بعد ان رحل جدها:

«كنت أخشى ان أكون قد بالغت بالأناقة».

«ستشرفين غرفة الطعام بكل هذا الجمال. سنأكل هناك هذه الليلة».

الاعجاب داخل عينيه بعث بريقاً من السعادة داخل عينيها، لكنها قالت بهدوء:

«الا تستعملون دائماً غرفة الطعام؟».

«لا، فهذا يزيد من أعمال مايزي، لكني قررت انه قد حان الوقت لتستعمل الغرفة غالباً».

«حقاً؟ ومتى يكون هذا الوقت؟» سألته.

لكنه لم يقدم المزيد من الشروحات، بل قال:

«في هذه الأثناء مايزي، بيرت وساندرا يتناولون طعامهم

في المطبخ. على كل حال اليوم هو مناسبة خاصة».

«خاصة؟ ولماذا؟» سألته بحيرة.

«انها دعوتك الأولى لتناول الطعام في مارشلاندز. قلت لمايزي انني أريد العشاء كإجتماع عائلي».

«أعترف انني أعتبر اجتماع العائلة أمر ضروري. في الواقع، أنا أحسد العائلات الكبيرة».

كلماته أخبرتها شيء ما عنه وأفهمتها سبب اهتمامه وحرصه على فيليب فهو يعتبره عائلته القريبة. ثم خطر ببالها سؤال فسألته:

«وهل ساندرا جزء من دائرة العائلة؟».

«ساندرا تعمل عندي منذ حضور بيرت ومايزي» أخبرها ثم غير الموضوع متابعاً:

«أنذهب؟ أين شالك الصوفي؟».

«انه هنا» والتقطته عن الكنبة.

تناوله منها كما فعل مرة في السابق ووضعه حول كتفيها ولامست أصابعه مؤخرة رقبتها ثم تباطأ وهو يزرر ربطاته الأمامية.

«انه شال جميل وأنيق» علق:

«له نفحة ريفية خاصة» ارتفعت اصابعه لتداعب برقة فكها.

لمساته كانت كالمغناطيس الذي يثبتها مكانها. ورفعت وجهها اليه، بانتظار قبلته، لكن القبلة لم تأت ووجدت نفسها تصارع ضد شعور الخيبة الذي اعتراها.

هل عرف انها كانت بانتظار قبلته؟ تساءلت ولكنه اذا كان عرف ورأى دلائل الخيبة على وجهها فهو لم يظهر أي دلالة على ذلك عندما رافقها الى السيارة.

لم يقولا شيئاً خلال الطريق الى المنزل، شعرت لينا بتوتر مفاجيء حين قطعا مدخل منزل آل ماروش. لسبب

لم تعرفه حذرها حدسها من توقع الكثير ولكن التوتر وعدم الارتياح ظل داخلها.

أوقف طومي السيارة قرب درجات حجرية تؤدي الى الشرفة، مايزي ظهرت كالسحر بوجهها المستدير وابتسامتها المرحبة. تناولت شال لينا علقته على مشجب رائع ثم استدارت نحو طومي.

«لقد أوقد بيرت لكما النار في مدفأة غرفة الجلوس، وعندك الوقت لتقدم للينا بعض الشراب قبل تحضير مائدة العشاء».

ستنضمان الينا انت وبيرت» قال طومي ونبرته تشبه الأمر وليس الدعوة.

«نعم ـ اذا أصريت» استدارت للينا لتقول بشبه اعتذار:

«زوجي بيرت يكون خجولاً جداً حين يقابل الغرباء للمرة الأولى» ثم اختفت باتجاه المطبخ؟.

قاد طومي لينا باتجاه غرفة كبيرة دافئة بسبب نار المدفأة المشتعلة. لمحة دلتها ان الأثاث والزينة كانا من الطراز الأول، ولم يكن هناك أي صوت سوى صوت خطواتهما على السجادة السميكة.

سكب لها المشروب فيما وقفت لينا أمام النافذة الكبيرة. لحظات أخرى وكان قربها، مقدماً لها كأساً من الشراب من الكريستال اللامع وقال:

«أهلاً بك في منزلي».

«شكراً لك، لكن هذه ليست زيارتي الأولى ـ في حال نسيت».

تجاهل أهمية تعليقها وهو يقول:

«أخبريني اذا أعجبك الشراب».

نظرت الى الكأس بشرابه الذهبي وقالت:

«يبدو قديم التعتيق».

«كريما الكوربان الغنية المعتقة في جرار من الخشب» أجابها وهو يحرك كأسه:

«له طعمة وتأثير جيد».

«ويضمن ان يجعلني أثرثر بدون تفكير؟» سألته بابتسامة ثم احتسته وأحبت طعمته.

نظر اليها بتمعن:

«أنا مستعد لسماع أي شيء تتفوهين به».

أخذت جرعة أخرى:

«يبدو وكأنك تنتظر سماع اعتراف مذنب نوع ما».

«قيل لي ان الاعتراف يفيد الروح».

«ألن يعتمد هذا على عمق الذنب؟» نظرت اليه بتفكير وقد بدأ نوع من الاحباط يسيطر عليها ثم سألته:

«لماذا ينتابني شعور ان جواز سفر فيليب لا يزال في بالك؟».

هز كتفيه:

«أفهم ان عملية البحث عنه لا تزال جارية. هل لي ان أسأل ما الذي جعلك تسألين هذا السؤال؟» سألها وعينيه تراقبانها بدقة.

ردت نظرته قائلة:

«تستطيع ان تسميه حدس أنثوي. وهو يقول انك لا تزال تشك بي، بالرغم من تأكيداتك انك قد تخطيت مرحلة الشك».

استدارت عنه لتعود الى التحديق عبر النافذة، انزعاجها المبكر عاد اليها الآن بسبب شكه المستمر بها، وتأذت كثيراً من قلة ثقته هذه فأدارت ظهرها له حتى لا يرى ترقرق الدموع داخل عينيها.

تحرك ليقف بجانبها واستراحت يده على كتفها:

«المنظر رائع من هذه النافذة، لكني أخشى ان الظلام

سيحول دون رؤيتك له».

رمشت عيونها بسرعة محدقة بجهة الغرب:

«أستطيع على الأقل رؤية أضواء وايباوا، وخلفها هناك سلسلة أضواء متناغمة فوق قمم الروهانيز».

«تلك هي تابايرو. كانت فيما مضى مستعمرة واسعة للماورا، ، لكن بعد وقت هاجرها شبابها للسكن في المدن الأكثر لمعاناً» توقف ثم أضاف بنبرة جافة:

«معظم الناس تشعر بالملل من حياة الريف».

لم تقل شيئاً شاعرة بتلميحه الى رونزا، ثم حبست أنفاسها حين شعرت بأصابعه تتصلب على كتفها.

«هل ستشعرين بالملل من حياة الريف، لينا؟» جاءها السؤال بنعومة وشفتاه لستا بعيدتين عن أذنها.

هزت رأسها؛

«انت تنسى ان عندي عمل يثمر أكثر في الريف. الحقول مليئة بمواضيع للقصص. لماذا تسأل هكذا سؤال» حبست أنفاسها بانتظار رده.

لكن قبل ان ينطق وصلت مايزي برفقة رجل قصير القامة أبيض الشعر عرفته على انه زوجها بيرت بيتس، حيا بيرت لينا ونظراته خجلة ولكن دقيقة ثم حيا طومي بدوره.

سكب لهما الشراب وحينها دخلت ساندرا برفقة فيليب، وذراعها حول كتف الصبي بتعبير عاطفي أمومي.

لكن فور دخولهما أبعد فيليب يدها عنه وركض نحو لينا. مد ذراعيه حولها ثم نظر الى وجهها ليتذمر بنبرة آسفة:

«لم تدعني ساندرا آتي الا بعد ان أنهيت كل قطع الخضار في صحني وأعطتني المزيد والمزيد».

«على الأقل أنا أعتني به» قالت ساندرا موجهة كلامها لطومي.

«بالطبع انت كذلك، ساندرا» قال طومي:

«أنا واثق انك تقدمين أفضل ما لديك وأنا ممتن لك».

تناولوا العشاء بهدوء تربكه نظرات ساندرا الحاقدة نحو لينا.

بعد ان انتقلوا الى غرفة الجلوس سألها طومي:

«هل سمعت أخباراً جديدة من خلف البحار؟».

«لا، توقفت عن المراسلة حتى يصلني عنوان جديد» أجابته لينا بهدوء.

تدخلت ساندرا وقالت:

«لا بد انك تتحدثين عن والدة أحدهم، ولن يكون من الصعب لك ان تخمني بأن جواز السفر لا يزال مفقوداً».

«هل سألت فيليب عنه؟» سألتها لينا محاولة السيطرة على غضبها.

ردت ساندرا بحدة:

«بالطبع لا. انه في السادسة فقط، وأشك انه يعرف ماذا تعني كلمة جواز سفر. مايزي وأنا قد فتشنا في كل مكان، وهذا كافٍ لنعرف انه ليس في مكان معروف. لقد أخذ من قبل خبير...».

قاطعها طومي بغضب:

«هذا يكفي، ساندرا. لن تتكلمي مع ضيفتنا بهذه الطريقة».

أرسلت له ساندرا ابتسامة واسعة:

«آسفة، طومي... لكن يجب ان تعرف انني منزعجة جداً لهذا الأمر» توسعت ابتسامتها أكثر:

«وأيضاً، انت قلت ان هذا اجتماعاً عائلياً، والعائلات دائماً تتحدث بصرامة مع بعضها البعض».

قالت مايزي بحدة وهي مقطبة:

«الصرامة لا تبرر عدم اللياقة والفظاظة ساندرا. يجب

ان تعتذري للينا».

لكن ساندرا ظلت صامتة ولاحظت لينا ان طومي لم يشدد على اعتذار ساندرا منها. أكان ينتظر ليرى ردة فعلها على اتهام ساندرا لها؟ أكان يأمل بأن يدفعها المشروب تفشي بذنب ما يعتقد انها قد ارتكبته؟ لقد ملأ لها كأسها مجدداً لربما هذا السبب بالذات.

أخذت نفساً عميقاً لتهدئة أعصابها المشتعلة، ثم ابتسمت للصبي بتحبب:

«أتعرف ما هو جواز السفر، فيليب؟».

طأطأ رأسه:

«نعم، انه كتاب صغير لا يحوى قصة ولكنه يحتوي على صورة صغيرة لي».

شعرت مايزي بالتوتر:

«حسناً، الآن ـ أتستمع لهذا؟» حين سألته عنه اكتفى فقط بهز رأسه بالنفي.

نظر طومي الى الأرض واقترب قليلاً من مكان لينا.

شعرت بذنبه:

«عصفورة صغيرة تهمس لي» قالت بابتسامة محاولة اكتساب ثقته.

«هل انت واثقة انها ليست ضفدع صغير؟» قال طومي.

تجاهلت تعليقه وتابعت الابتسام لفيليب بود:

«هذه العصفورة الصغيرة تقول لي انك تعرف مكان جواز السفر، أستخبر لينا بالحقيقة؟».

«وأنها وصورة عائلتي في مكان سري» تمتم ثم أضاف:

«يجب ان يكون عندي مكان سري خاص بي».

«نعم بالطبع. أنا أفهم هذا» طمأنته لينا برقة:

«أخبرني، لماذا تضع هذه الأشياء في مكان سري؟».

«لأن ساندرا قالت انها ستتخلص من الصورة التي فيها

أمي وأبي وجواز السفر فيه صورة صغيرة لي...».

«وهكذا فقد ظننت ان صورتك بخطر أيضاً» أكملت لينا.

انفجرت ساندرا بغضب:

«أيها المحـ... أين هو الجواز؟».

أنا لن أطلعك على مكاني السري!» صرخ الصبي.

«بالطبع لا» وافقه طومي:

«يجب ان يكون للرجال أماكنهم السرية. الآن اركض وأحضرهم في الحال. أود ان أراهم».

قطع بيرت الصمت الذي تلا ذهاب فيليب بقوله:

«أنا أعرف مكانه السري هذا. أتذكر اليوم الذي وجدنا به فاراً في سرج دوبن؟ كان فيليب قد زل وأخبرني انه يحتفظ بالفأر في مكانه السري».

«اذن كان جواز السفر هناك طوال الوقت» قالت مايزي مرسلة نظرة حنق نحو ساندرا:

«يجب ان أقول انك لم تفتش جيداً. وكنت سريعة باتهامك للينا» أضافت بحدة.

بدا بيرت مرتبكاً؛

«ما كل هذه الغوغاء حول جواز سفر الصبي؟».

خانت لينا دهشتها بقولها:

«ألم تعرف؟ كان من المفترض انني أنا من سرقته».

قالت مايزي:

«أنا لم أخبره لأنني لم أكن أثق بك مطلقاً».

«شكراً لك مايزي» ردت لينا وهي تشعر بموجة امتنان نحوها.

بعد لحظات حبست لينا أنفاسها فيما كان فيليب يدخل الغرفة، وجواز السفر وصورة زفاف والديه بين يديه. أعطاهم لطومي الذي حدق بهما بصمت، وراقبته لينا ثم

قالت دون ان تتمكن من السيطرة على لسانها:

«ربما قد تكمل هذه الدائرة نحوي طومي».

«نعم - أعتقد انني أستطيع ان أؤكد على هذه الجملة» اعترف:

«وأعتقد ان هذه الصورة هي السبب الذي جعلني أعتقد انني قد سبق ورأيتك من قبل. هذه الغمامة من الشعر الناري ظلت معي دائماً».

«اذن ها قد حلت معضلة أخرى» قالت وانفجرت بالضحك رغماً عنها وهي تراقب ملامح وجه طومي.

في صباح اليوم التالي اضطرت لينا للعودة الى المدينة بعد ان اتصل بها زوج شقيقتها الذي طلب منها ان تكون شاهدة على اتفاقهما كما أصرت شقيقتها.

غادرت لينا البلدة رغماً عنها دون ان تودع طومي وفيليب واعتبرت ان هذا الاتصال من زوج أختها هو عبارة عن تدخل من القدر لتبتعد عن هذا المكان قبل ان تزداد جروح قلبها أكثر.

أدركت لينا من يومها الأول بعد عودتها انها لن تعود الى سابق عهدها. فأصدقاؤها لا يزالون هنا ويستمرون بالتقرب منها، لكن كل شيء كان فارغاً وتافهاً، وكل رجل تراه تقارنه بطومي. الطعام أيضاً لم يعد له طعم، فأصبحت نحيفة شاحبة لدرجة ملحوظة.

لم تكن قادرة على التركيز على عملها، فكل أفكارها لا تزال في المارشلاندز، كم تشتاق لرؤية وجه طومي ماروش، لا، لن تضعف أكثر، ستتمالك زمام نفسها وستنسى طومي ماروش نهائياً.

كانت في المنزل حين اتخذت هذا القرار ولتجبر نفسها على نسيانه، أخذت تمسح الغبار عن الكتب ثم أعدت لنفسها فنجاناً من القهوة وخرجت لتشربه على الشرفة

الأمامية وبينما هي تجلس لمحت خيالاً يقترب ففتحت عينيها جيداً.

لا، مستحيل، هل بدأت أتخيل؟ تساءلت وهي ترى الرجل يصعد الدرجات القليلة المؤدية الى الشرفة. مستحيل ان يعود اليها شبح طومي ماروش بعد شهر من الأيام الصعبة.

تقدم منها بسرعة:

«هل انت بخير؟ لقد شحب وجهك بشدة... وبحق السماء، انت نحيفة جداً كالحبل».

تماسكت قليلاً واستعادت بعض السيطرة على تنفسها وقالت:

«أنا بخير الأمر فقط انني... مندهشة قليلاً لمجيئك الى هنا».

«لقد أتيت لأراك انت. تستطيعين القول انني قد أتيت بتوسل خاص» كلماته وصوته العميق وعيناه اللتان كانتا تحدقان بها بقوة جعلت أنفاسها تتلاحق وتصاعد الدم الى وجهها. تابع:

«كنت سآتي قبل هذا الوقت لكن كنت مضطراً للذهاب الى تابوا».

«وماذا أيضاً».

«أرجوك حاولي ان تتفهمي سبب تأخري بالقدوم اليك قبل الآن».

القدوم - الي؟» همست وقلبها ينتفض.

«لأخبرك انني أحبك وأنني لا أستطيع العيش بدونك. لأطلب منك الزواج بي».

صمت آخر سيطر عليها ومجدداً اعتقدت انها تحلم. انها كانت تحلم، حلماً رائعاً ستستيقظ منه دون شك بعد قليل.

تحرك واقترب منها وقبضته على كتفيها كانت حقيقية بما فيه الكفاية وكذلك كانت نظرته المتعلقة بعينيها:

«لماذا تنظرين الي بهذه الطريقة المذهولة؟ هل سمعت كلمة واحدة مما قلت؟».

أ... أعتقد ذلك» همست مدركة ان هذا لم يكن حلماً:

«انها فقط صدمة رؤيتي لك».

«لكنك عرفت انني سآتي».

هزت رأسها:

«وكيف كان باستطاعتي التأكد؟».

«لأنك تعرفين انني أحبك».

«انت لم تقل هذا من قبل - وهكذا كيف كان بإمكاني ان أعرف؟».

«أكان حدسك النسائي نائماً؟» أغاظها:

«ألم تخبرك قبلاتي انني أحبك؟».

«قالت قبلاتك الكثير - لكنها كانت تتبع دوماً بابتعادك الطويل» أخبرته:

«كان الأمر كأنك تندم وتتمنى ان تتحاشاني. الرجل الذي يحبني كان ليعود الي مع أول ضوء الفجر».

«أليس هذا الرجل الذي أمامك؟ كان علي التفكير. كان علي التأكد ان المشاعر بيننا لها عمق. أترين قصة مالك ورونزا كانت دوما معلقة فوق رأسي» ذكرها.

«وظلت تتراءى أمامك بشكل انذار وتحذير؟».

«بالضبط».

«لكنك ليس مالك - ولا أنا رونزا. ولن نعاني من مشاكلهما السابقة».

«لم أستطع ان أكون واثقاً تماماً من هذه الحقيقة سابقاً» وأحاطها بذراعيه واعترف:

«في اللحظة التي تركت بها فروغ هول أدركت انني لن أستطيع العيش بدونك. والآن أنا بانتظارك للتفوه بالكلمات التي أتلهف بشدة لسماعها».

«انني - أحبك؟» همست.

«مجدداً - وبصوت أعلى أرجوك».

«طومي، أنا أحبك... أنا أحبك» والتصقت به رافعة وجهها اليه ليقبلها، النشوة ملأتها، واجتاحت كل ذرة في كيانها وكان نطقها بالكلمات هذه قد أزالت كل همومها ومشاكلها وآلامها. بدأت الدموع تملأ عينيها، لكنها كانت دموع الفرح والبهجة.

«يا حبيبتي» قال بارتعاش:

«لا أستطيع ان أوضح لك كم تلهفت وتحرقت لهذه اللحظة. والآن أنا نافذ الصبر لأجعلك زوجتي».

الكلمات جعلتها ترتعش وشدت ذراعيها حول رقبته وهي تلتصق بكتفه.

«أخبرني - متى سيكون ذلك؟» سألها بلهفة:

«لن تكون الفترة طويلة على ما أظن».

www.elromancia.com